مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٨)	ذو الحجة ١٤٣٧هـ
العدد التاسع	سبتمبر ٢٠١٦ م

المشـرف العام

عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صــوت الأمـة:** بى ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تــرســل شيــكات الاشتراک بهذا الاسم:	**دار التاليف والترجمة** Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

المنشــور لا يعبــر إلا عــن رأي كاتبــه

محتويات العدد

العنوان	الصفحة
الافتتاحية:	
١– أدب الخلاف في الإسلام	
أسعد أعظمي بن محمد أنصاري	٣
حديث وشرح:	
٢– حرم المدينة النبوية	
الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله	٨
الخطب المنبرية:	
٣– غيبة العلماء	
معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ	١٤
علم الحديث في الهند:	
٤– علم الحديث في الهند قبل عهد الشاه ولي الله الدهلوي	
الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي	٢٠
خصائص الإسلام:	
٥– الإسلام دين الناس جميعا	
الشيخ لطف الحق المرشد آبادي	٢٨
البيت الحرام:	
٦– حِجر إسماعيل عليه السلام	
فضيلة الأستاذ الدكتور وصي الله محمد عباس	٣٢
التراث العلمي	
٧– تعريف بكتاب: روضة المحبين ونزهة المشتاقين ...	
الشيخ محمد عزير شمس	٤٠
من روائع الأوقاف:	
٨– الخط الحديدي الحجازي	
عيسى القدومي	٤٨
اللغة العربية:	
٩– اللغة العربية وتحديات العصر الحاضر في ظل العولمة	
كاشف جمال ضياء الحسن	٥٤
من أخبار الجامعة:	
١٠– حفل افتتاح ندوة طلبة الجامعة السلفية بنارس	٦٠

الافتتاحية

أدب الخلاف في الإسلام

(٢ – ٢) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

موضوع أدب الخلاف في ضوء أقوال العلماء:

إن الجو الإيماني الذي عاشه الرعيل الأول قد تفيأ بظلاله الوارفة الأجيال التي اتبعت ذلك الرعيل بإحسان، إنها أدركت – ببصيرتها الإيمانية – حساسية الأمر وأهمية مبدأ الوحدة والتماسك، الذي أولاه الإسلام تلك العناية الكبيرة، وخطورة التنازع والتفرق الذي اتفق البشر كلهم – بغض النظر عن أديانهم وأجناسهم وألوانهم – على ذمه والتحذير منه.

إن العلماء الربانيين في كل عصر ومصر – إدراكا منهم لخطورة الموقف – وضعوا الأسس والمبادئ التي يجب أن تحكم الخلاف القائم بين طرفين من المسلمين عامة، ومن علمائهم خاصة. وحذروا من مغبة اتخاذ الاختلاف ذريعة للنيل من الأعراض، أو وسيلة إلى تكوين الأحزاب والعصابات، يبغض بعضها بعضا، ويلعن بعضها بعضا. ثم إنهم لم يكتفوا برسم الطريق وإبداء النصح والتوجيه فقط، بل قدموا نماذج عملية وأمثلة تطبيقية في غاية الجمال والروعة، تعتز بها الأجيال وتستضيء بنورها في المضي قدما في طريق المحبة والتناصر والتآخي. فإليكم بعض هذه الأقوال والأعمال:

- يقول يونس بن عبد الأعلى الصدفي تلميذ الإمام الشافعي:

"ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى! ألا يستقيم أن نكون إخوانا، وإن لم نتفق في مسألة". [1]

---

[1] سير أعلام النبلاء: ١٠ / ١٦.

ونقل عن الشافعي رحمه الله أنه قال:

"ما ناظرت أحدا إلا قلت: اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه، فإن كان الحق معي اتبعني، وإن كان الحق معه اتبعته". [١]

وهو القائل أيضا:

"ما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطئ، وما في قلبي من علم إلا وددت أن يتعلمه كل أحد ولا ينسب إلي". [٢]

وقال: "ما كلمت أحدا قط إلا ولم أبال بين الله على لساني أو لسانه". [٣]

- روى العباس بن عبد العظيم العنبري (ت ٢٤٠هـ) قال:

كنت عند أحمد بن حنبل، وجاءه علي بن المديني راكبا على دابة، فتناظرا في الشهادة – أي الشهادة بالجنة للمبشرين بها – وارتفعت أصواتهما، حتى خفت أن يقع بينهما جفاء، وكان أحمد يرى الشهادة، وعلي يأبى ويدفع، فلما أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه. [٤]

- أرسل إبراهيم بن عبد العزيز إلى إبراهيم النظام مالا أحوج ما يكون إليه، وقال له: "إن كنا اختلفنا في المقالة – أي في الرأي والمذهب – فإنا نرجع بعد ذلك إلى حقوق الأخلاق والحرية، وقد رأيتك حيث مررت بي على حال كرهتها، وينبغي أن تكون نزعت بك حاجة، فإن شئت فأقم بمكانك عدة شهر أو شهرين، فعسى نبعث إليك ببعض ما يكفيك زمانا من دهرك، وإن اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون دينارا فخذها وانصرف وأنت أحق من عذر". [٥]

---

[١] قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ٢ / ٣٠٥.

[٢] مناقب الشافعي للبيهقي: ١ / ١٧٤.

[٣] المرجع السابق: ١ / ١٧٤ – ١٧٥.

[٤] جامع بيان العلم وفضله: ٢ / ٩٦٨.

[٥] صفحات من صبر العلماء لعبد الفتاح أبو غدة، ص: ٧٢.

• يقول الإمام الذهبي:

"وبين الأئمة اختلاف كبير في الفروع وبعض الأصول، وللقليل منهم غلطات وزلقات، ومفردات منكرة، وإنما أمرنا باتباع أكثرهم صوابا، ونجزم بأن غرضهم ليس إلا اتباع الكتاب والسنة، وكل ما خالفوا فيه لقياس أو تأويل، وإذا رأيت فقيها خالف حديثا أو رد حديثا أو حرف معناه فلا تبادر لتغليطه .... وإنما وضعت المناظرة لكشف الحق، وإفادة العالم الأذكى العلم لمن دونه، وتنبيه الأغفل الأضعف". [1]

• يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

"قد كان الصحابة والتابعون ومن بعدهم، منهم من يقرأ البسملة، ومنهم من لا يقرأها، ومنهم من يجهر بها ومنهم من لا يجهر بها، وكان منهم من يقنت في الفجر، ومنهم من لا يقنت، ومنهم من يتوضأ من الحجامة والرعاف والقيء، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ من مس الذكر، ومس النساء بشهوة، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ..... ومع هذا فكان بعضهم يصلي خلف بعض. مثل ما كان أبوحنيفة وأصحابه والشافعي وغيرهم يصلون خلف أئمة أهل المدينة من المالكية، وإن كانوا لا يقرأون البسملة لا سرا ولا جهرا. وصلى أبو يوسف خلف الرشيد وقد احتجم، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ، فصلى خلفه أبو يوسف ولم يعد.

وكان أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الحجامة والرعاف، فقيل له: فإن كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ، نصلي خلفه؟

قال: كيف لا أصلي خلف سعيد بن المسيب ومالك". [2]

• ومن هذا الباب أيضا: ما روي عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه صلى الصبح مرة قريبا من مقبرة الإمام أبي حنيفة رحمه الله، فلم يقنت – والقنوت عنده سنة مؤكدة –

---

[1] فيض القديرشرح الجامع الصغير: ١ / ٢٠٩.

[2] فتاوى ابن تيمية: ٢ / ٣١٨.

فقيل له في ذلك، فقال: "أخالفه وأنا في حضرته". وقال أيضا: "ربما انحدرنا إلى مذهب أهل العراق". [١]

- يقول ابن القيم:

"معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول، فقالوا بمبلغ علمهم، والحق في خلافها، لا يوجب اطّراح أقوالهم جملة والوقيعة فيهم. فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما. فلا نؤثم ولا نعصم". [٢]

- يقول الإمام الشاطبي:

"إن زلة العالم لا يصح اعتمادها من جهة، ولا الأخذ بها تقليدا له، وذلك لأنها موضوعة على المخالفة للشرع. ولذلك عدت زلة، وإلا فلو كانت معتدة بها لم يجعل لها هذه الرتبة. كما أنه لا ينبغي أن ينسب صاحبها إلى التقصير، ولا أن يشنع عليه بها، ولا ينتقص من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة". [٣]

- ومن أروع الأعمال التي تخدم موضوع أدب الخلاف: تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله المسمى بـ "رفع الملام عن الأئمة الأعلام". هذا الكتاب مع صغر حجمه يعطينا فكرة واضحة عما كان أسلافنا يحملون من القلب الواسع وما كانوا يتمتعون به من أدب جم واحترام بالغ لمن سبقهم من أهل العلم والفضل مع اختلافهم معهم في كثير من القضايا والمسائل العلمية. ويشبه الكتاب المذكور من كتب المتأخرين تأليف لطيف للعلامة النواب صديق حسن خان البخاري القنوجي – رحمه الله – باسم: "جلب المنفعة في الذب عن الأئمة المجتهدين الأربعة" وهو باللغة الفارسية، وقد قام

---

[١] حجة الله البالغة: ١ / ١٥٩.

[٢] إعلام الموقعين: ٣ / ٢٢٠.

[٣] الموافقات: ٥ / ١٣٦ – ١٣٧

بترجمته إلى اللغة الأردية والدنا الشيخ محمد الأعظمي الأنصاري حفظه الله، وطبع الترجمة باسم: "أئمه أربعه كان دفاع اور سنت كا اتباع". وكتاب "رفع الملام ..." أيضا ترجم إلى اللغة الأردية، ولله الحمد.

• ومما يساعد في تقليل حدة الخلاف ويبعث على إبقاء الألفة والوحدة مع المخالفين، والالتزام بالأدب الإسلامي والأخوة الدينية معهم: النظر في المسائل المشتركة الكثيرة التي هي محل الاتفاق بين علماء الأمة، أما الخلاف فهو ينحصر في قضايا ومسائل محدودة لا تكاد تذكر أمام المتفق عليها من الأمور. وهذا الذي دعا إلى النظر فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بكلامه التالي الذي سجله بعد ذكر اختلاف الناس في مسمى الإيمان والإسلام وسببه، يقول رحمه الله:

"فمن اتبع علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة، وعلم مأخذ الشبه أعطى كل ذي حقه، وعلم أن خير الكلام كلام الله، وأنه لا بيان أتم من بيانه، وأن ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون إليه أضعاف أضعاف ما تنازعوا فيه.

فالمسلمون سنيهم وبدعيهم متفقون على وجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومتفقون على وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، ومتفقون على أن من أطاع الله ورسوله فإنه يدخل الجنة ولا يعذب، أو على أن من لم يؤمن بأن محمدا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إليه فهو كافر، وأمثال هذه الأمور التي هي أصول الدين وقواعد الإيمان التي اتفق عليها المنتسبون إلى الإسلام والإيمان. فتنازعهم بعد هذا في بعض أحكام الوعيد أو بعض معاني بعض الأسماء أمر خفيف بالنسبة إلى ما اتفقوا عليه .... ". [1]

❖❖❖

[1] فتاوى ابن تيمية: ٧ / ٣٥٦ – ٣٥٧.

حديث وشرح

حرم المدينة النبوية

الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

عن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها. وقال: المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لاوائها وجهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة. رواه مسلم.

قوله (عن سعد) أي ابن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة (إني أحرم ما بين لابتي المدينة) بتخفيف الموحدة تثنية لابة، وهي الحرة وهي الأرض ذات الحجارة السود كأنها أحرقت بالنار، وأراد بهما حرتين تكتنفانها، وجمع اللابة لوب ولابات ولاب. قال ابن حبيب: هما الحرتان الشرقية والغربية، وللمدينة حرتان حرة بالقبلة (من جهة الجنوب) وحرة بالجرف (من جهة الشمال) فهي حرار أربع، لكن يرجع كلها إلى الحرتين الشرقية والغربية لاتصالهما بهما، ولذلك جمعها ﷺ في اللابتين. وقال السمهودي: ما بين لابتيها أي حرتيها الشرقية والغربية، والمدينة بينهما، ولها أيضا حرة بالقبلة وحرة بالشام، لكنهما يرجعان إلى الشرقية والغربية لاتصالهما بهما، ولهذا جمعها ﷺ كلها في اللابتين كما نبه عليه الطبري – انتهى.

قال الحافظ: قد تكرر ذكر اللابتين في الحديث ووقع في حديث جابر عند أحمد "وأنا أحرم المدينة ما بين حرتيها" فادعى بعض الحنفية أن الحديث مضطرب لأنه وقع في رواية "ما بين جبليها" وفي رواية "ما بين لابتيها" وفي رواية "مازميها" وتعقب بأن الجمع بينهما واضح، وبمثل هذا لا ترد الأحاديث الصحيحة، فإن الجمع لو تعذر أمكن الترجيح، ولا شك أن رواية ما بين لابتيها أرجح لتوارد الرواة عليها، ورواية جبليها لا تنافيها، فيكون عند كل لابة جبل، أو لابتيها من جهة الجنوب والشمال

وجبليها من جهة الشرق والغرب،وتسمية الجبلين في رواية أخرى لا تضر، وأما رواية مازميها فهي في بعض طرق أبي سعيد ، والمازم بكسر الزاى المضيق بين الجبلين، وقد يطلق على الجبل نفسه، كذا قال الحافظ في شرح حديث أنس في باب حرم المدينة. وفيه نظر فإنه ليس عند كل جبل لابة، ولا أن لابتيها من جهة الجنوب والشمال وجبليها من جهة المشرق والمغرب، بل الحقيقة أن حديث ما بين لابتيها يعني من جهة المشرق والمغرب، فإن من جهة المشرق حرة ومن جهة المغرب أخرى، وحديث ما بين جبليها يعني الحرتين الجنوبية والشمالية، قال النووي: للمدينة لابتان: شرقية وغربية وهي بينهما. قال: والمراد باللابتين الحرتان، قال: وهذه الأحاديث كلها متفقة، فما بين لابتيها بيان لحد حرمها من جهتي المشرق والمغرب، وما بين جبليها لحده من جهة الجنوب والشمال. وقال الحافظ في باب لابتي المدينة في شرح حديث أبي هريرة "ما بين لابتيها حرام": أن المدينة بين لابتين شرقية وغربية، ولها لابتان أيضا من الجانبين الآخرين، إلا أنهما يرجعان إلى الأوليين لاتصالهما بهما، والحاصل أن جميع دورها كلها داخل ذلك – انتهى.

قال النووي: ومعنى قوله "ما بين لابتيها" اللابتان وما بينهما، والمراد تحريمة المدينة ولابتيها يعني أن اللابتين داخلتان أيضا. قال الأبي ولعلها بدليل آخر، وإلا فلفظ "بين" لا يشملهما – انتهى.

(أن يقطع) بدل اشتمال من المفعول (عضاهها) بكسر العين المهملة، وهي كل شجر عظيم له شوك كالطلح والعوسج، واحدها عضاهة وعضهة وعضه وعضة بحذف الهاء الأصلية كما يحذف من الشفة (وقال: المدينة خير لهم) قال القاري: أي لأهلها من المؤمنين في الدنيا والأخرى، وذلك مطلق إن كان قبل الفتح ومقيد بغير مكة إن كان بعده، أو المراد بالخيرية من جهة بركة المعيشة فلا ينافي بركة الفضيلة الزائدة الثابتة لمكة بالأحاديث الصحيحة الصريحة – انتهى.

قلت: احتج ابن رشد بالحديث على تفضيل المدينة على مكة، ولا دليل فيه لأن كونها خيرا مطلق يصدق بصورة كونها خيرا من الشام لا من كل الأرض. وقال السندي في حاشية مسلم: قوله "المدينة خير لهم" قال ذلك في ناس يتركون المدينة إلى بعض بلاد الرخاء كالشام وغيره كما سيجئ، وهؤلاء الناس هم المراد بضمير "لهم" أي المدينة خير لأولئك التاركين لها من تلك البلاد التي يتركون المدينة لأجلها، فلا دليل في الحديث على تفضيل المدينة على مكة كما لا يخفى (لو كان يعلمون) أي ما فيها من الخير لما فارقوها وما اختاروا غيرها عليها وما تحولوا للتوسعة في الدنيا، قال السندي: ليس المراد به أنها خير على تقدير العلم، المدينة خير لهم علموا أولا، بل المراد لو علموا بذلك لما فارقوها، وقد يجعل كلمة لو للتمني لكن قد يقال: كثير منهم يبلغهم الخبر ويفارقونها فأولئك قد علموا بذلك لبلوغهم الخبر ومع ذلك فارقوها فكيف يصح "لو علموا بذلك لما فارقوها"؟ قلت: يمكن دفعه بأن المراد لو علموا بذلك عيانا وليس الخبر كالمعاينة، أو يقال هو من تنزيل العالم الذي لا يعمل بعلمه بمنزلة الجاهل، كأنه ما علم هذا، وقد يقال: المعنى المدينة خير لهم لو كانوا من أهل العلم، إذ البلدة الشريفة لا ينتفع بها إلا الأهل الشريف الذين يعملون على مقتضى العلم، وأما من ليس من أهل العلم فلا ينتفع بالبلدة الشريفة بل ربما يتضرر، فخيرية البلدة ليست إلا لأهلها، ومن يليق للإقامة فيها فافهم – انتهى.

وقال الأبي: "لو" هذه إن كانت امتناعية فجوابها محذوف أي لو كانوا من أهل العلم لعلموا ذلك ولم يفارقوا المدينة، وإن كانت متعدية فالتقدير لو كانوا يعلمون ذلك لما فارقوها، وإن كانت للتمني لم تفتقر إلى جواب، وعلى التقديرين هو تجهيل لمن فعل ذلك لتفويته عن نفسه أجرا عظيما، ولذلك قال: إلا أبدل الله فيها خيرا منهم، كما قال تعالى: {وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم – سورة محمد: الآية ٤٠} أي يخلق خلقا سواكم على خلاف صفتكم من الرغبة في الإيمان.

(لا يدعها) استئناف مبين أي لا يتركها (أحد) ممن استوطنها (رغبة عنها) أي عن ثواب الساكن فيها، وأما من خرج لضرورة شدة زمان أو فتنة فليس ممن يخرج رغبة عنها، وقال القرطبي والمازري: رغبة عنها أي كراهة لها من رغبت عن الشيء إذا كرهته. وقال الباجي: الظاهر عندي أنه إنما أراد به الخروج عن استيطانها إلى استيطان غيرها، وأما من كان مستوطنا غيرها يعني من كان وطنه غيرها فقدم عليها طالبا للقربة بإتيانها ورجع إلى وطنه أو كان مستوطنا بها فسافر عنها لحاجة أو لضرورة شدة زمان أو فتنة فليس ممن يخرج رغبة عنها – انتهى.

(إلا أبدل الله فيها) أي في المدينة (من هو خير منه) قال الباجي: بمولود يولد فيها أو بمنتقل ينتقل إليها من غيرها. قيل هذا خاص بزمن حياته ﷺ، وقيل: دائما. ويدل عليه قوله في حديث "يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء، "المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون". وقال ابن عبد البر: هذا في حياته ﷺ، وذلك مثل الأعرابي القائل "أقلني بيعتي" ومعلوم أن من رغب عن جواره أبدله الله خيرا منه، وأما بعد وفاته فقد خرج منها جماعة من أصحابه ولم تعوض المدينة خيرا منهم. قال الزرقاني: يعني كأبي موسى وابن مسعود ومعاذ وأبي عبيدة وعلي وطلحة والزبير وعمار وحذيفة وعبادة بن الصامت وبلال وأبي الدرداء وأبي ذر وغيرهم، وقطنوا غيرها وماتوا خارجا عنها، ولم تعوض المدينة مثلهم فضلا عن خير منهم، فدل ذلك على التخصيص بزمنه ﷺ.

قال الأبي: الأظهر أن ذلك ليس خاصا بالزمن النبوي، ومن خرج من الصحابة لم يخرج رغبة عنها بل إنما خرج لمصلحة دينية من تعليم أو جهاد أو غير ذلك – انتهى. قال الزرقاني: لا يقال ليس النزاع في أن خروجهم لما ذكر إنما هو في تعويضها بخير منهم، وهذا لم يقع فالأظهر التخصيص، لأنا نقول: الإبدال مقيد بالخروج رغبة عنها فلا يرد أن الخارج لمصلحة دينية لم تعوض مثلهم – انتهى. قلت: هذا هو الظاهر بل الصحيح فإن

التعويض والإبدال لما كان مقيدا بترك المدينة والخروج رغبة عنها فلا مانع من حمله على الإطلاق والعموم.

(ولا يثبت أحد) أي بالصبر (على لاوائها) بالمد بسكون الهمزة الأولى وتبدل ألفا أي شدة جوعها (وجهدها) بفتح الجيم وقد تضم أي مشقتها مما يجد فيه من شدة الحر وكربة الغربة وأذية من فيها من أهل البدعة لأهل السنة. قال الجوهري: اللاواء الشدة، لكن المراد هنا ضيق المعيشة والقحط، لما في أكثر الروايات "على لاوائها وشدتها" فلابد من الاختلاف في معناهما، وإن كان يمكن أن يكون العطف تفسيريا وتاكيديا، لأن التأسيس أولى، والأصل في العطف التغاير، فيحمل اللاواء على ضيق المعيشة والجهد على ما يصيبهم من الحر وعلى ما يصيب المهاجر فيها من وحشة الغربة وغير ذلك، كذا في المرقاة، وشرح المصابيح للتوربشتي. قال الأبي: الحديث خرج مخرج الحث على سكناها فمن لزم سكناها دخل في ذلك ولو لم تلحقه لاواء، لأن التعليل بالغالب والمظنة لا يضر فيه التخلف في بعض الصور، كتعليل القصر بمشقة السفر.

(إلا كنت) بصيغة المتكلم (له شفيعا أو شهيدا) قال عياض: سئلت قديما عن معنى هذا الحديث يعنى أن "أو" هذه هل هي للشك أو غيره ولم خص ساكن المدينة بالشفاعة هنا مع عموم شفاعته ﷺ وادخاره إياها لأمته؟ قال: وأجبت عنه بجواب شاف مقنع في أوراق اعترف بصوابه كل واقف عليه. قال وأذكر الآن منه يعني في شرح مسلم لما تليق بهذا الموضع، قال بعض شيوخنا: أو هنا للشك، والأظهر عندنا أنها ليست للشك لأن هذا الحديث رواه جابر بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبو سعيد وأبوهريرة وأسماء بنت عميس وصفية بنت أبي عبيد عن النبي ﷺ بهذا اللفظ، ويبعد اتفاق جميعهم أو رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة بل الأظهر أنه ﷺ قال هكذا، فإما أن يكون أعلم بهذه الجملة هكذا (أي من الله تعالى) وإما أن تكون أو للتقسيم ويكون شهيدا لبعض أهل المدينة وشفيعا لباقيهم، إما شفيعا للعاصين وشهيدا للمطيعين وإما شهيدا لمن مات في حياته وشفيعا لمن مات

بعده أو غير ذلك، وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة لكافة المذنبين يوم القيامة، وعلى شهادته على جميع الأمة. وقد قال ﷺ في شهداء أحد: أنا شهيد على هؤلاء، فيكون لتخصيصهم بهذا كله مزية وزيادة منزلة وحظوة. قال: وقد تكون أو بمعنى الواو فيكون لأهل المدينة شفيعا وشهيدا معا. قال: وقد روي: إلا كنت له شهيدا وله شفيعا – انتهى.

قال الزرقاني: بالواو رواه البزار من حديث ابن عمر. قال عياض: وإذا جعلنا أو للشك كما قيل فإن كانت اللفظة الصحيحة "شهيدا" اندفع الاعتراض لأنها زائدة على الشفاعة المدخرة المجردة لغيرهم، وإن كانت "شفيعا" فاختصاص أهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الأمة أن هذه شفاعة أخرى غير العامة التي هي لإخراج أمته من النار ومعافاة بعضهم منها بشفاعته ﷺ في القيامة، وتكون هذه الشفاعة بزيادة الدرجات ورفعها أو تخفيف السيئات أو بما شاء الله من ذلك أو بإكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامة كإيوائهم إلى ظل العرش أو كونهم في روح أو على منابر أو الإسراع بهم إلى الجنة أو غير ذلك من خصوص الكرامات الواردة لبعضهم دون بعض – انتهى. كذا نقله عنه النووي في شرح مسلم وغيره وأقروه.

(يوم القيامة) في الحديث إشارة إلى بشارة حسن الخاتمة وتنبيه على أنه ينبغي للمؤمن أن يكون صابرا بل شاكرا على إقامته في المدينة ولا ينظر إلى ما في عداها من النعم الصورية لأن العبرة بالنعم الحقيقية الأخروية (رواه مسلم) وأخرجه أيضا أحمد (ج١: ص١٨١، ١٨٥) والبيهقي (ج٥: ص١٩٧)

(مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٩ / ٣٣٧ – ٣٤٠)

❖❖❖

الخطب المنبرية

غيبة العلماء

معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية، الرياض

العلماء ورثة الأنبياء

الحمد لله جعل في كل زكان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يهدون من ضل إلى الهدى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون الناس من العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحياه العلماء، وكم من ضال تائه قد هداه العلماء، فما أحسن أثر العلماء على الناس، وما أقبح أثر الناس على العلماء، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وتأويل المبطلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، واختلفوا في الكتاب وخالفوا الكتاب، وشاقوا الكتاب والسنة.

فهدى الله الناس بالعلماء، لأن العلماء ورثة الأنبياء.

الحمد لله، الذي له الحمد كله، والذي جعل علماء هذه الأمة خير الناس، كما أنه جعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير هذه الأمة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، فصلى الله على نبينا محمد كفاء ما أرشد، وكفاء ما بيّن، وكفاء ما علم، وكفاء ما دل إلى الطريق المستقيم، وكفاء ما بيّن من طرق الضلالة والغواية، وصلى الله على آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى، واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله يحاسب المرء منا في ذلك اليوم العظيم على لسانه وعلى جوارحه وعلى فرجه وعلى قلبه، يحاسب على كل ما عمل، وعلى كل ما نطق به، وعلى كل ما عقده قلبه، وكل

شيء في ذلك اليوم سيعرض عليك من عمل، إن كان خيرا وإن كان شرا، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.

تعظيم الله للعلماء

أيها المؤمن! إن الله جل جلاله عظّم في كتابه شأن العلماء – علماء الدين – ، لأنهم هم الذين حملوا في صدورهم كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم بينوا ذلك للناس فرفع الله المؤمنين بالله ورسوله درجات، وجعل أرفع المؤمنين درجات أهل العلم قال تعالى: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} (المجادلة: ١١)، فأهل العلم هم أرفع هذه الأمة درجات، فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا هم أرفعهم درجات، وأرفعهم علماؤهم، والعشرة المبشرون بالجنة هم أرفع أولئك.

الصحابة خيرة الأمة

وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم الله خير هذه الأمة، لأنه رضي عنهم واختارهم لصحبة نبيه قال: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة} (الفتح: ١٨)، ومع ذلك ثناء الله جل وعلا على صحابة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وقوله في شأنهم: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا} (الفتح: ٢٩)، ومع ما أثنى الله عليهم بقوله: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان} (التوبة: ١٠٠)، ومع ما أثنى الله عليهم في آيات كثيرة، فقد ظهر أناس في زمن الصحابة يضللون الصحابة، ويرون أن ما هم عليه ليس بحق، بل كفروا بعضا منهم، لأنهم رأوا أنهم لم يحملوا دين الله وأنهم فرّطوا في الدين وأنهم رضوا بالدنيا عن الآخرة، وأنهم حكموا الرجال في دين الله، ورضوا بغير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فضلّت الأمة من وقع في الصحابة، ثم أجمع المسلمون من أهل السنة والجماعة على أن من ذكر الصحابة أو ذكر علماء هذه الأمة بغير خير فإنه على غير السبيل، يعني: على غير سبيل أهل السنة والجماعة، لأن علماء هذه الأمة هم الذين ورثوا محمدا صلى الله

عليه وسلم، ورثوا أقواله وورثوا القرآن، وورثوا السنة، وورثوا أفعال النبي عليه الصلاة والسلام، ونقلوها إلى الناس، فمن طعن في الصحابة فإنه يطعن في الدين، لأن الصحابة هم الذين نقلوا الشريعة، وهم الذين بلغوها إلى الناس، فإذا طُعن فيهم رجع النقل إلى من طعن الشرع، وهذه من أكبر وسائل الملحدين في الطعن في الإسلام أنهم يقولون إن الصحابة مطعون فيهم، وكيف يُرضى في نقل الشريعة بنقل من طعن فيه، ومن قتل وعمل ومن ارتكب بعض المعاصي ومن قاتل لأجل الدنيا ونحو ذلك من الأمور التي أجمع العلماء، وأجمعت الأمة على تضليل من قال بذلك.

الطعن في العلماء

كذلك لما توالى الزمان طعن أناس كثيرون في أئمة أهل السنة وفي أئمة أهل الحديث، طعنوا فيهم، تارة بعدم معرفتهم بالدنيا، وتارة بأنهم يدخلون على الولاة، وتارة بأنهم لا يفقهون إلا النصوص ولا يعلمون العقليات، وتارة وتارة، والغرض من ذلك كله أن يطعنوا في العلماء، وإذا طعن في أهل العلم طعن في الشريعة، لأن الشريعة إنما يبينها أهل العلم، يبينون كتاب الله ومعانيه، ويبينون السنة ومعانيها، فمن طعن في أهل العلم رجع طعنه – إن كان مريدا أو غير قاصد إلى الشريعة، لأن الشريعة إنما يبلغها هؤلاء العلماء الذين ورثوا محمدا صلى الله عليه وسلم بشهادته عليه الصلاة والسلام، حين قال: "إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر "العلماء ورثة الأنبياء" فالطعن فيهم حقيقته أنه راجع إلى الطعن في الشريعة.

وإن الطعن في العلماء وتشويه سمعة العلماء – بحق أو بغير حق – عند العامة يورث الشك فيهم، وإذا أورث الشك في أهل العلم رجع ذلك إلى عدم الثقة بأقوالهم، وعدم الثقة بالعقيدة التي ينشرونها، وعدم الثقة ببيانهم للكتاب، وبيانهم للسنة، وعدم الثقة ببيانهم للفتاوى المعاصرة، وللنوازل الحاضرة التي تجدّ بأحوال المؤمنين، وما يجد في أحوالهم أفراد وجماعات، وإذا نُزعت الثقة تسلّط الجهال، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا.

أيها المؤمنون! إن الله جل جلاله لما رفع منزلة العلماء جعل غيبة كل المسلمين كبيرة من كبائر الذنوب فإن الله جل جلاله قال: {ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب

أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه} (الحجرات: ١٢)، فجعل الغيبة من جنس أكل الميتة، وأكل الميتة كبيرة من الكبائر، فهكذا الغيبة كبيرة من الكبائر، وتعظم الغيبة إذا كان المغتاب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو إذا كان المغتاب العلماء الذين يعلمون الكتاب والسنة ويبصرون أهل العمى، وينصرون السنة بالاعتقاد والعمل، تعظم الغيبة وتكبر الكبيرة.

فمن ذكر العالم بغير ما يرضى فإنه قد اغتابه، وإذا اغتابه فإنه قد ارتكب تلك الكبيرة والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغيبة، نهى عن الغيبة ثم سئل عنها: ما الغيبة؟ فقال "ذكرك أخاك بما يكره" قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه"، والبهتان أعظم من الغيبة، قال تعالى: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا} (الأحزاب: ٥٨)، إن الغيبة إذا كانت كبيرة من كبائر الذنوب فمن مارسها بين الصلوات، فإن الصلاة إلى الصلاة ليست مكفرة لما بينهما، لأن من شرط تكفير الذنوب أن تجتنب الكبائر، فمن أصر على هذه الكبيرة ولم يستغفر ولم يتب ولم ينب إلى ربه، فإن صغيرته لا تكفرها الصلاة ولا يكفرها الصيام ولا تكفرها الجمعة ولا تكفرها العمرة ولا يكفرها الحج، قال تعالى: {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما} (النساء: ٣١)، {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عن نكفر عنكم سيئاتكم} فشرط تعالى لتكفير السيئات أن تجتنب الكبائر، وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: "الصلاة إلى الصلاة مكفرات لما بينهما ما اجتنبت الكبائر"، وفي لفظ: "ما لم تغش كبيرة"، وكذلك قال: "رمضان إلى رمضان والعمرة إلى العمرة، والجمعة إلى الجمعة مكفرات لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر"، فهذا الذي وقع في الغيبة بذكره أخاه بما يكره، إن كان في أخيه ما يقول، وإن كان في أهل العلم ما يقول، فقد ارتكب تلك الكبيرة، وإن كان ما يذكر كذبا وبهتانا، أما إن كان ما يذكر زورا وإفكا فإن مصيبته وكبيرته أعظم، وصلاته إلى صلاته ليست مكفرة لما يرتكبه من الذنوب، بل تجتمع عليه الذنوب – إن لم يشأ الله ليغفر له في الآخرة – تجتمع عليه الذنوب كما

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي يصف فيه الذنوب ويصف فيه صغارها بلهب كبير يقول: "كمثل قوم تفرقوا في واد فأتى هذا بعود صغير وأتى ذاك بعود وأتى الثالث بعود فجمعوه تحت قدرهم فانضجوا قديرهم" يعني ما بداخل القدر "وهكذا الذنوب تهلك صاحبها".

الغيبة والكبائر

أيها المؤمن! إن الله رحمك بأن جعل صلاتك إلى صلاتك كفارة لما بينهما فإنك إذا ارتكبت تلك الكبيرة من الغيبة والبهتان، أو من الكذب على أهل العلم، فإنك على خطر عظيم فالنجاة النجاة، النجاة النجاة، وإيانا وسبيل المبطلين الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون ويرتكبون النهي مع علمهم بذلك، ويطعنون في أهل العلم ويعلمون أنهم هم خيرة أهل الأرض بما يحملون في صدورهم من القرآن من كلام الله، ومن كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم، إذا تحدثوا تردد في أنفاسهم كلام الملك العلي العظيم، وإذا تحدثوا تردد مع أنفاسهم كلام المصطفى كأنه حي حاضر يحدثنا، يفقهوننا، ويعلمون الجاهل، ويفتون ويعلم الناس أثرهم إذا قام الأشهاد يوم القيامة من أخذ من عالم كلمة فاهتدى بها فتفعته في دينه فإنه سيعلم عظم أثرها يوم القيامة.

فكيف يكذب المبطلون على أهل العلم، وكيف يبهت المبطلون أهل العلم، وكيف يغتاب الناس أهل العلم، وهم خيرة الله في أرضه ومن ذكرهم بغير خير فهو على غير السبيل، إن الكذب على أهل العلم كبيرة من الكبائر، وقد قال عليه الصلاة والسلام "من حدث بحديث يرى أنه كذب فهو أحدث الكاذبين" وفي رواية أو في ضبط "فهو أحد الكاذبين"، وقد قال جل وعلا: {إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون} (النحل: ١٠٥)، فالكذب في هذا الزمان راج، ونتج عن الكذب الغيبة والبهتان، ونتج عن ذلك أمور كثيرة فشت في الناس.

أيها المؤمن إن إيمانك يعصمك من ارتكاب الزنا، ويعصمك بإذن الله وتوفيقه من ارتكاب شرب الخمر، ومن أكل الربا، ومن السرقة، ومن الموبقات ومن الشرك بالله، ومن السحر، ومن التولي يوم الزحف، ومن قذف المحصنات الغافلات، وهذه يجتمع المؤمنون على إنكارها وعلى بغضها، ولكن هل عصمك إيمانك من الغيبة؟ هل عصمك إيمانك من الكذب؟ هل عصمك من البهتان؟

قال شيخ الإسلام: إنه يكثر في الصالحين أن يجتنبوا الزنا وشرب الخمر، ولكنهم يقعون في كبائر الذنوب باللسان من الغيبة ونحوها. ومن كبائر الذنوب في القلب من العجب والكبر ونحو ذلك.

وهذا الذي قاله صحيح، لأن الكبائر متنوعة، والله جل جلاله جعل من اللسان كبيرة، وقد سأل معاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له: "كف عليك هذا"، قال معاذ: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس على مناخرهم – أو قال: على وجوههم – إلا حصائد ألسنتهم" فماذا يقول أولئك: الذين اجتمعوا في المجالس فأخذوا يغتابون هذا العالم، ويغتابون ذاك، ويقذفون القاضي هذا ويقذفون القاضي ذاك، ولا يرعون للشرع حرمة، ولا لما في صدور العلماء من كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حرمة، ولا للعقيدة الصحيحة التي يبلّغها أهل العلم وينشرونها لا يرعون لها حرمة، ويرتكبون هذه الكبيرة بذكرهم العلماء بما يكرهون، ومع ذلك يأنسون، وكأنهم على طاعة وكأنهم في طواف أو في تلاوة قرآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللهم نسألك سؤال ملح يرجو الإجابة، أن تجعل ألسنتنا عفيفة.

اللهم اجعل ألسنتنا عفيفة، وقلوبنا محبة للمؤمنين، ربنا لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا اجعلنا ممن يتكلم بالخير.

اللهم اجعلنا ممن ينطق إذا نطق بالخير، ونعوذ بك من لسان يؤول بنا إلى النار، نعوذ بك اللهم من لسان يؤول بنا إلى النار.

واسمعوا لقول الله جعل وعلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم {والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} (العصر: ١ – ٣).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه من قلوبكم حقا، وتوبوا إليه صدقا، إنه هو الغفور الرحيم.

❖❖❖

علم الحديث في الهند قبل عهد الشاه ولي اللّه الدهلوي

الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي

هذا المقال كان في الأصل تعليقا من تعليقات الدكتور عبد العليم البستوي رحمه الله في إحدى صفحات الجزء الأول من مقدمة تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، وقد أفرده الدكتور بالنشر بتعليقاته النافعة وإضافاته الممتعة باسم:"فوائد في علوم الحديث وكتبه وأهله". ونظرا لأهميته العلمية وقيمته التاريخية أحببنا أن نتحف به قراء المجلة. (التحرير)

لقد ذكر المؤلف (*) رحمه الله – كغيره من العلماء – أن شيوع علم الحديث بدأ في الهند من الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله. وأنه هو الذي غرس هذه الشجرة في أرض الهند الخصبة.

وهذا راجع إلى أمرين مهمين:

الأول: تتابع خدمة السنة النبوية في القارة الهندية منذ عهد الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله، وأولاده وأحفاده وتلاميذهم. فإن خدمة السنة النبوية في القارة الهندية مستمرة – والحمد لله – منذ ذلك العصر وحتى الآن تدريسا وتأليفا ونشرا وطباعة وغير ذلك.

الثاني: ظهور الدعوة القوية إلى التمسك بالكتاب والسنة، وإن خالف ذلك أقوال المذهب السائد في البلاد. وقد بدأت هذه الدعوة منذ ذلك العهد من خلال مؤلفات الشاه ولي الله رحمه الله، وكتبه، ثم تلاميذه من بعده. وكان هذا الأمر قليلا أو خفيا قبل ذلك العهد. ومن أغرب الأمثلة لذلك: أن الشيخ نظام الدين البدايوني، أحد كبار

(*) وهو الشيخ محمد عبد الرحمن المباركفوري، مؤلف تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. (التحرير)

الصوفية في الهند (٦٣٤ – ٧٢٥هـ) اختلف مع بعض العلماء في عصره في مسألة، ولما كثر النقاش رفع الأمر إلى ملك ذلك الوقت محمد شاه تغلق. فدعا الملك إلى عقد مجلس مناظرة بين الشيخ البدايوني والفقهاء والقضاة. فاستدل الشيخ البدايوني على كلامه ببعض الأحاديث، فردها الفقهاء، وقالوا: "إن الروايات الفقهية مقدمة على الأحاديث في بلدنا هذا، وقال بعضهم: إنا لا نشتهي أن نسمع هذه الأحاديث التي تمسّك بها الشافعي، وهو عدو مذهبنا" [1].

ويضاف إلى ذلك: أن المتقدمين لم يتصدّ أحد منهم لتدوين التاريخ العلمي والثقافي للهند في عصره، فشحت المعلومات المتعلقة بذلك، وهذا ما اشتكى منه العلامة صديق حسن القنوجي رحمه الله إذ قال:

"ولما انتشر الإسلام في هذه البلاد، وطلعت شموسه البازغة على الأغوار والأنجاد، وعلت الكلمة الطيبة في هذه الغبراء، واجتمعت بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، ظهر بها جمع من العلماء والأدباء الإسلاميين الناثرين على بسط الأزمنة لآلي من السحب الأقلامية. لكن لم يعمد أحد منهم إلى ضبط تراجمهم، ولم يجتن جان زهرا من حواجمهم، إلا نزرا يسيرا، ولذلك لا ترى من السلف والخلف كتابا مستقلا في هذا الباب، لا على طريق الإيجاز ولا على سبيل الإطناب.." إلخ. أبجد العلوم ٣ / ٢١٤، وينظر أيضا ما قاله صاحب نزهة الخواطر في مقدمة كتابه ١ / ٤٥.

وقال الشيخ غلام علي آزاد البلكرامي (ت ١٢٥٠هـ) في كتابه "مآثر الكرام" في ذكر الملا نظام الدين: "إن الأصل أن أهل الهند اهتموا واعتنوا بحفظ أحوال مشايخ الصوفية، ولم يضبطوا أحوال العلماء والعقلاء إلا قليلا، ولم نسمع من السلف إلى الخلف عن كتاب مستقل في هذه الناحية". نقلا عن مقدمة رجال السند والهند ص ١١.

---

[1] الثقافة الإسلامية في الهند ص ١٣٥، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند لمسعود الندوي ص ١٧، نقلا عن الجهود المخلصة ص ٢٨، ويمكن الاطلاع على تفصيل القضية في نزهة الخواطر: ٢ / ١٢٧.

ومع ذلك ما توفر من معلومات عن علم الحديث في الهند قبل عصر الشاه ولي الله رحمه الله لا يمكن استقصاؤه هنا، فله مجال آخر. ولكن مع ذلك أرى من المستحسن ذكر نبذة مختصرة منه هنا ليكتمل موضوع هذا الفصل.

فمن المعلوم أن أرض الهند – وخاصة النوحي الغربية منها – استنارت بنور الإسلام منذ أوائل عهده، سواء كان ذلك عبر القوافل التجارية التي كانت تتجه إلى الموانئ الغربية من الهند متجهة إلى سرانديب (المعروفة بسريلانكا الآن)، أو عبر الجيوش الإسلامية التي توجهت ناحية الهند لأمور دعت إلى ذلك. ففي عام (١٥هـ) ولّى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الصحابي الجليل عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه [1] إمارة البحرين. فأرسل جيشا بقيادة أخيه الحَكَم بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه إلى "تانه" و "بروص"، وهما مدينتان على سواحل كوجرات. كما أرسل جيشا آخر بقيادة أخيه الآخر المغيرة بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه إلى "ديبل" (كراتشي حاليا).

ثم تتابعت جيوش وسرايا أخرى في عهد علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. ذكر تفاصيلها البلاذري في فتوح البلدان ص ٤٢٠ وما بعدها.

وفي عام (٩٣هـ) وجه الحجاج بن يوسف الثقفي جيشا كبيرا بقيادة المجاهد محمد بن القاسم الثقفي رحمه الله حتى فتح بلاد السند وملتان وغيرهما. وأسس أول دولة إسلامية في بلاد الهند. وبدأ الإسلام يفتح قلوب وعقول سكانها الذين وجدوا فيه الحرية والعدالة والأمن والأمان والمساواة التامة. حتى انتشر الإسلام في جميع أنحاء الهند، وبقي المسلمون يحكمونها نحو سبعة قرون.

ولا شك أن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وأرضاهم، الذين قادوا تلك الجيوش أو شاركوا فيها، قاموا بنشر نور الإسلام على هدى من الكتاب والسنة،

---

[1] صحابي جليل أسلم سنة تسع مع وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أصغرهم سنا. فأمّره عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لِما رأى من عقله وحرصه على الخير والدين. بقي أميرا على الطائف في عهد أبي بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه، حتى استعمله عمر على البحرين وعمان، سكن البصرة أخيرا، ومات سنة (٥١هـ). سير أعلام النبلاء ٢ / ٣٧٤. وقال ابن حزم: "وعثمان منهم من خيار الصحابة، ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف، وغزا فارس، وثلاثة من مدن الهند، وله فتوح". جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٦.

حتى تعلّمته تلك الشعوب، وبقيت على ذلك فترة طويلة قبل أن تدب البدع والمحدثات في العصور التالية. وقد زار الرحالة العربي أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري المقدسي [١] (ت ٣٧٥هـ) بلاد السند. فذكر في انطباعاته: (أكثرهم أصحاب الحديث، ورأيت القاضي أبا محمد المنصوري داوديا في مذهبه، وله تدريس وتصانيف، قد صنف كتبا عدة حسنة، وأهل الملتان شيعة يُهَوعلون في الأذان، ويثنون في الإقامة، ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وليس به مالكية، ولا معتزلة، ولا عمل للحنابلة. إنهم على طريقة مستقيمة، ومذاهب محمودة وصلاح وعفة، قد أراحهم الله من الغلو والعصبية .. والفتنة) [٢].

وقد انتشر علم الحديث في الهند في تلك الحقبة وبعدها على أيدي أئمة وعلماء نزلوا بلدان الهند مع الجيوش الإسلامية وبعدها، أو من أبناء تلك البلدان تعلموا على أيديهم، ومنهم من هاجر إلى الحرمين وغيرهما من المدن العربية، واشتهر هناك، وانتشر علمه وفضله.

ومن أبرز الأسماء الشهيرة في هذا الصدد:

١ – أبو حفص الربيع بن صبيح السعدي (ت ١٦٠هـ). قيل: إنه أول من دوّن الحديث بالبصرة. وقد خرج غازيا ضمن الجيش الذي وجهه المهدي إلى "باربد"، وهاج البحر، فلم يقدروا على ركوبه، فأقاموا إلى أن يطيب. وأثناء ذلك انتشر مرض في صفوفهم، وماتت جماعة، ومنهم الربيع بن صبيح. تاريخ الطبري ٨ / ١٢٨، سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٨٧، تهذيب التهذيب ٣ / ٢٤٧.

٢ – إسرائيل بن موسى، أبو موسى البصري، روى عن الحسن البصري وغيره. روى عنه سفيان الثوري وآخرون، قال البخاري وغيره: كان نزل الهند، وفي الميزان: نزيل السند. وله في البخاري حديث واحد.

تهذيب الكمال ٢ / ٥١٤، ميزان الاعتدال ١ / ٢٠٨، تهذيب التهذيب ١ / ٢٦١.

---

[١] محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي، المعروف بالبشاري (٣٣٦ – ٣٧٥هـ) مؤرخ، رحال، جغرافي، ولد بالقدس، وتعاطى التجارة، فتجشم أسفارا، هيأت له المعرفة بغوائص أحوال البلاد، من آثاره: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. معجم المؤلفين ٨ / ٢٣٩.

[٢] أحسن التقاسيم، نقلا عن رجال السند والهند ص ٢١.

٣ – أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي، ثم المدني (ت ١٧٠هـ). كان أحمد بن حنبل يرضاه. ويقول: كان بصيرا بالمغازي. وضعفه غير واحد. مترجم في سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٣٥، تهذيب التهذيب ١٠ / ٤١٩ وغيرهما.

٤ – رجاء بن السندي النيسابوري، أبو محمد الاسفرائيني. روى عن ابن المبارك وغيره، قال الحاكم: ركن من أركان الحديث، وفي أعقابه حفاظ محدثون. (ت ٢٢١هـ). تهذيب التهذيب ٣ / ٢٦٧.

٥ – أبو العباس أحمد بن محمد بن صالح المنصوري، قاضي المنصورة، من رجال القرن الرابع. وقد سبق عن البشاري المقدسي أنه وصفه بأنه كان داودي المذهب. روى عنه الحاكم وغيره.

قال ابن النديم: "على مذهب داود، من أفاضل الداوديين. وله كتب جليلة حسنة كبار، منها: كتاب "المصباح الكبير"، وكتاب "الهادي" وكتاب "السير". الفهرست ص: ٣٠٦، وله ترجمة في طبقات الفقهاء للشيرازي، ص: ١٧٨، الأنساب للسمعاني: ١٢ / ٤٥٥. وقال: المنصورة: بلدة بنواحي المولتان فيما أظن.

٦ – ومن رجال القرن الرابع أيضا:

أبوجعفر محمد بن إبراهيم الديبلي (ت ٣٤٢هـ) نسبة إلى "دَيبل"، قال السمعاني: وهي بلدة من بلاد ساحل البحر من بلاد الهند قريبة من السند. سكن مكة.

وهو يروي كتاب التفسير لابن عيينة عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عنه. وكتاب البر والصلة لابن المبارك عن المروزي عنه. الأنساب ٥ / ٤٣٩ رجال السند والهند ص ٢٠١. وممّن ذكرهم السعاني تحت هذه النسبة.

- ابنه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الديبلي.
- وأبو القاسم شعيب بن محمد بن أحمد المعروف بابن أبي قطران الديبلي.
- وخلف بن محمد الموازيني الديبلي.
- أبو العباس محمد بن أحمد بن عبد الله الوراق الديبلي الزاهد.
- أبو العباس أحمد بن عبد الله بن سعيد الديبلي، سمع من ابن خزيمة وغيره (ت٣٤٠هـ)

وقد ذكرهم كلهم السمعاني في الأنساب ٥ / ٤٤٠.

٧ – الشيخ المحدث إسماعيل اللاهوري (ت ٤٠٨هـ): من أكابر الدعاة، وأول من جاء بالحديث والتفسير في لاهور، جاء من بخارا، وسكن اللاهور. أسلم على يده كثير من الكفار والمشركين. رجال الهند والسند ص ٧٢.

٨ – ومن أشهر علماء الحديث في الهند:

الإمام المحدث أبو الفضل رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني اللاهوري. (ت٦٥٠هـ) أصله من غزنة، وهاجر أبوه إلى لاهور، وولد بها الصغاني، وله مؤلفات كثيرة ومشهورة في اللغة والأدب والحديث وغيرها، منها: "شرح صحيح البخاري"، و "مصباح الدُّجى في حديث المصطفى"، و "مشارق الأنوار" و "أسامي شيوخ البخاري" وغيرها. كان كثير السفر والترحال، سكن مكة أخيرا، مات ببغداد. انظر: أبجد العلوم ٣ / ٢١٦.

٩ – الشيخ عبد الأول بن علي الجونبوري (ت٩٦٨هـ). ومن مصنفاته: "فيض الباري شرح صحيح البخاري"، نزهة الخواطر ٤ / ١٤٩.

١٠ – الشيخ عبد النبي بن أحمد الكنكوهي (ت ٩٩١هـ) سمع الحديث في الحجاز عن أحمد بن حجر المكي وغيره من المحدثين. قال صاحب نزهة الخواطر: "تردّد إلى الحجاز غير مرة، وصحب المشايخ مدة طويلة، حتى رسخ فيه مذهب المحدثين، فرجع إلى الأهل والوطن، وخالفهم في مسألة السماع والتواجد، ووحدة الوجود، والأعراس [1] وأكثر رسوم المشايخ الصوفية، ونصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتج ببراهين ومقدمات، فخالفه والده وأعمامه، فأوذي في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة، حتى إنهم أخرجوه من الأهل والوطن .. إلخ.

وكان معاصرا للملك المغولي أكبر شاه. واختلف معه في قضية أحد البراهمة اغتصب عمارة للمسجد، وجعله معبدا، وقام بشتم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقضى بقتله، فغضب السلطان غضبا شديدا بسبب ضغط زوجاته الكافرات. وانتهى أمر الشيخ إلى أن قتل مخنوقا رحمه الله. ينظر للتفصيل: نزهة الخواطر ٤ / ١٩٧.

١١ – الشيخ علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥ هـ) صاحب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، وغيره من المؤلفات الكثيرة، وقد تخرج عليه عدد كثير من العلماء. أقام بمكة المكرمة ومات هناك. أبجد العلوم ٣ / ٢٢١، نزهة الخواطر ٤ / ٢٠٩.

---

[1] الأعراس، هي حفلات تقام على ضرائح من يوصفون "بالأولياء" في القارة الهندية إحياء لذكرى وفياتهم.

١٢ – وتلميذه الشيخ محمد بن طاهر الفتَّني الكجراتي (ت ٩٨٦ هـ) صاحب المؤلفات الشهيرة، ومنها: "مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار"، وهوكتاب جامع لغريبي القرآن والحديث، مطبوع، و "المغني في ضبط أسماء الرجال"، وهو مطبوع أيضا. وكذلك "تذكرة الموضوعات" وغيرها. أبجد العلوم ٣ / ٢٢٢، نزهة الخواطر ٤ / ٢٦٥.

وهناك علماء آخرون ممن كانت لهم إسهامات مشكورة في تدريس ونشر علم الحديث في القارة الهندية في تلك الفترة. ولكن لا يمكن ذكرهم كلهم هنا. رحمهم الله وأجزل لهم الأجر والثواب على ما قدموا وخدموا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وإن كانت أفكار بعضهم لا تخلو من بعض الشطحات الصوفية حسبما كان منتشرا في بيئاتهم. فنسأل الله أن يغفر لنا ولهم.

معاصرو الشاه ولي الله الدهلوي:

وممن عاصر الشاه ولي الله الدهلوي عالمان جليلان، كانت لهما جهود عظيمة مشكورة في نشر السنة النبوية والدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة تعليما وتدريسا ودعوة، وهما:

١ – العلامة المحدث الشيخ محمد فاخر زائر الإله آبادي (١١٢٠ – ١١٦٤هـ). ولد في مدينة "إله آباد" ودرس على أخيه، واستفاد من والده، وسافر إلى الحرمين في سنة (١١٤٩هـ)، وأخذ من الشيخ محمد حياة السندي، وقرأ عليه صحيح البخاري وثلثا من صحيح مسلم، وأخذ منه الإجازة العامة، ثم عاد إلى الهند، ثم سافر إلى الحرمين بعد مدة قليلة، ثم عاد. وكان في طريقه إلى الحرمين مرة ثالثة، فمرض في مدينة "برهانفور"، ومات هناك في (١١٦٤هـ) ودفن هناك.

قال صاحب نزهة الخواطر: "الشيخ العالم الكبير المحدث محمد فاخر بن محمد يحيى بن محمد أمين العباسي السلفي الإله آبادي، .... كان فريد زمانه في الإقبال على الله، والاشتغال بالعبادة ... واتفق الناس على الثناء عليه والمدح لشمائله، وصار مشارا إليه في هذا الباب، وكان لا يتقيد بمذهب، ولا يقلد في شيء من أمور دينية، بل كان يعمل بنصوص الكتاب والسنة، ويجتهد رأيه، وهو أهل لذلك.

وله مصنفات في انتصار السنة، منها: "درة التحقيق في نصرة الصديق"، و "قرة العينين في إثبات رفع اليدين" منظومة .... وله "الرسالة النجاتية في العقائد"، وله

"منظومة في مدح أهل الحديث"، وله "ديوان الشعر الفارسي"، يحتوي على فضل السنة على البدعة والنهي عن الاشتغال بالمعقولات". نزهة الخواطر ٦ / ٣٥٠.

قال فيه معاصره الشيخ ميرزا مظهر جان جانان ما معناه: "لقد رأيت من العلماء والمشايخ ما لا يُحصَون، ولكنني وجدت شخصا واحدا – في هذا القرن الحادي عشر – موافقا للسنة، وهو الشيخ محمد فاخر. ورأيت كثيرا من أرباب الكمال، ولكن لم أر أحدا مثل الشيخ محمد فاخر". تراجم علماء حديث هند ص ٢٧٤ – ٢٧٨.

٢ – العلامة الزاهد الفقيه الشيخ "ميرزا جان جانان" المعروف – مرزا مظهر جان جانان – الدهلوي بن مرزا جان بن عبد السبحان بن محمد أمان العلوي الدهلوي. يرجع نسبه إلى محمد بن الحنفية، وينتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بتسع عشرة واسطة. ولد (١١١٠- هـ أو ١١١١ هـ أو ١١١٣ هـ). درس على والده وبعض علماء عصره، ثم دخل في الطريقة النقشبندية، ثم لازم الشيخ محمد أفضل السيالكوتي – أحد شيوخ الشاه ولي الله الدهلوي – وأخذ عنه الحديث.

قال صاحب نزهة الخواطر: "كان من أعاجيب الزمان في ذكاء الحس والفطنة والقوة الغريبة في إبقاء الذكر، والاستغناء عن الناس، والزهد والورع، واتباع السنة السنية، واقتفاء آثار السلف، وكان لا يتقيد برسوم المشايخ، ولا يجيب الدعوة العامة، ولا يذهب إلى مجالس الصوفية المتعارفة ..." إلخ.

وقال أيضا: "كان حنفيا في الفروع، لكنه كان يترك العمل بالمذهب إذا وجد حديثا صحيحا غير منسوخ، ولا يحسب ذلك خروجا عن المذهب، ويقول: العجب كل العجب أن الحديث الصحيح غير المنسوخ لا يعمل به، مع أنه يُروى عن النبي المعصوم عن الخطأ ببضع وسائط من الرواة الثقات، ويعمل بالروايات الفقهية التي نقلها القضاة والمفتون بوسائط عديدة عن الإمام غير المعصوم، مع أن ضبطهم وعدلهم غير معلوم".

ومن أقواله أيضا: قدم الورع والتقوى، واتبع المصطفى بالقلب، واعرض أحوالك على الكتاب والسنة، فإن كانت موافقة للسنة فاقبلها، وإن كانت مخالفة للسنة فارددها ... إلخ. له مكاتيب نافعة وديوان شعر بالفارسية، توفي سنة (١١٩٥هـ). تاريخ أهل الحديث ص ٤٠١. (ينظر للتفصيل: نزهة الخواطر: ٦ / ٥٥ – ٥٩، أبجد العلوم: ٣ / ٢٢٧)

❖❖❖

خصائص الإسلام

الإسلام دين الناس جميعا

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

أخي القارئ الكريم – وفقك الله – اعلم أن الإسلام ليس رسالة وشريعة نزلت لجماعة وطبقة خاصة، ولا نزلت لبلدة، أو مدينة خاصة، ولا لجيل وعشيرة خاصة، ولا لمكان وزمان محدود كما كانت الرسالات السماوية السابقة ترسل لجماعة وبيئة خاصة، ولمنطقة خاصة، ولزمان ومكان محدود .... بل نزلت لجميع البشر، ولكل زمان ومكان بدون تحديد زمان ومكان، وبدون تعيين جماعة، وطبقة، وجيل، وبيئة، وإلى ذلك أشار الرب تعالى بقوله: {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو، يحيي ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، واتبعوه لعلكم تهتدون} (سورة الأعراف: ١٥٨) ترشد هذه الآية الكريمة إلى أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول إلى الناس كافة، أبيضهم وأسودهم، وأحمرهم وأصفرهم، وعربهم وعجمهم، وإن هذا من شرفه وفضله ومنقبته أنه خاتم النبيين لا يأتي بعده نبي ورسول، وأنه مبعوث إلى الناس كافة.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم يمتاز عن غيره من الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام – بكثير من الخصائص والميزات، منها أنه بعث إلى الناس كافة، الأحمر والأسود، والأبيض والأصفر، والعرب والعجم، ونصر بالرعب مسيرة شهر، وأحلت له المغانم، ولم تحل لأحد قبله، وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت له الشفاعة لأمته يوم القيامة لمن لا يشرك بالله شيئا يوم لا يقدر النبيون والمرسلون – عليهم الصلاة والسلام – على الشفاعة لأممهم عند ربهم شيئا، ويقولون لهم: ولكن

ايتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. كما ثبت في الصحيحين.

فرسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عامة لجميع البشر، خالدة مستمرة ماضية إلى قيام الساعة، وإن ملته البيضاء، وشريعته الغراء، وسنته الشهباء ناسخة لجميع الملل والنحل من اليهودية والمسيحية وغيرهما من الأديان، فلا يقبل الله تعالى دينا غير دين محمد صلى الله عليه وسلم، وشريعة غير شريعته كما أشار إلى ذلك الرب تبارك وتعالى بقوله: {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}.

فالواجب على أهل الكتاب من اليهود والنصارى الإيمان برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبجميع ما جاء به من عند الله، واتباعه، وتصديقه فيما أخبر، وكذلك يجب على من لا كتاب له من أتباع الملل الأخرى الإيمان بما أرسل به النبي صلى الله عليه وسلم، واتباعه، وتصديقه بما جاء به من عند الله. فمن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يهوديا كان أو نصرانيا ثم مات، ولم يؤمن برسالته، ولم يتبعه ولم يصدقه كان من أصحاب النار، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار. [1]

ولمن آمن من أهل الكتاب بنبيه قبل النسخ، ثم آمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم واتبعه فله أجران كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة بن موسى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله عليه وحق سيده فله أجران ... الحديث. [2]

---

[1] ١ / ٨٦، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس الخ.

[2] ١ / ٨٦، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس الخ.

وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة الكثيرة على عموم رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى كونها عالمية، منها ما يلي:

عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة". [1]

وفي ذلك كثير من الأحاديث النبوية الشريفة غير ما ذكر أعلاه.

فرسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما كانت محلية أو زمانية، ولا كانت شريعته نزلت لجماعة، أو لإقليم، أو لجيل أو لطبقة وبيئة خاصة، كما كانت الرسالات المتقدمة قبله.

وإني أوجّه كلمتي إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى المعاصرين بصفة خاصة، وإلى أتباع الملل والنحل الأخرى المعاصرة من غير الإسلام بصفة عامة، إني أدعوكم جميعا إلى الإيمان برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث إلى كل أحمر وأسود، وأبيض وأصفر، وبعث إلى الناس كافة نذيرا وبشيرا، وداعيا بإذن ربه وشاهدا وسراجا منيرا ليكون للعالمين نذيرا، أدعوكم إلى اتباعه وتصديقه، والتأسي بأفعاله وأقواله وأحواله، والاقتداء بهديه، فإنه لا فلاح ولا نجاة لبشر العالم التاعس إلا في الإيمان برسالته وتصديقه واتباعه.

فإذا تبين لكم بوضوح وجلاء تام أن جميع الديانات المتواجدة المعاصرة منسوخة بدين النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الشريعة المحمدية ماضية إلى قيام الساعة، وصالحة لهداية جميع الناس في كل زمان ومكان، وأن النجاة والفلاح والسعادة لا تحصل إلا بالإيمان برسالته التي أرسل بها، واتباعه وتصديقه.

---

[1] رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

فلماذا ترغبون عن ملته صلى الله عليه وسلم، الملة التي توصل إلى الخير، وتدعو إلى دار السلام، الملة التي تنقذ من الهلاك والدمار، والويل والحرمان، والشقاء والتعاسة، والانحلال والانهيار، الملة التي تهدي إلى الصراط المستقيم، والمنهاج السليم، والسبيل القويم، الملة التي تخرج من الظلمات إلى النور، ومن الغي إلى الرشاد، ومن عبادة العباد إلى عبادة الرحمن، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، الملة التي تدعو إلى الأمن والسلام والحب والوئام، وتحذر من الاختلاف والشقاق والافتراق والنزاع.

إنكم تحسبون أنكم تفوزون في الدنيا والآخرة، وتنجون من النار في الآخرة. كلا! إنكم لا تفلحون رغم كثرة خدماتكم من إنشاء المراكز التنصيرية، وإنشاء الثانويات والكليات والجامعات، وإنشاء المستشفيات والمصحات والمستوصفات، وإنشاء المؤسسات الخيرية والرفاهية والتربوية ونحو ذلك من خدمات وأعمال أخرى حتى تؤمنوا برسالة النبي محمد، خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وتتبعوه، وتصدقوه، وتسلكوا منهاجه.

فالطريق المنجي والمنهاج المنقذ لبشرية العالم التائهة جمعاء إنما هو الإيمان برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، واتباعه وتصديقه، والانقياد والاستسلام لأمره وحكمه، والخضوع لشرعه لا غير.

وجملة القول إن رسالة الإسلام التي أرسل بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة رسالة عامة إلى جميع البشر، رسالة عالمية خالدة مستمرة دائمة باقية إلى قيام الساعة، غير متغيرة وغير متحورة، رسالة صالحة لهداية البشرية في جميع مجالات الحياة في كل زمان ومكان، وأن جميع الديانات المنزلة منها وغير المنزلة، القديمة منها والحديثة، الوضعية منها وغير الوضعية منسوخة بدين النبي صلى الله عليه وسلم وشريعته البيضاء، فمن آمن بما أرسل به النبي محمد صلى الله عليه وسلم واتبعه وصدقه فقد رشد وسعد، وأفلح ونجح، ومن أعرض عن دينه وشريعته وتولى، وكفر بما أنزل عليه فقد ضل وغوى وخاب وخسر.

❖❖❖

البيت الحرام

حِجر إسماعيل عليه السلام

فضيلة الأستاذ الدكتور وصي الله محمد عباس
جامعة أم القرى، مكة المكرمة

الحجر: قال في اللسان: الحجر حجر الكعبة: قال الأزهري: الحجر حطيم مكة كأنه حجرة مما يلي المثعب من البيت، وقال الجوهري: الحجر وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال، وكل ما حجرته من حائط فهو حجر.[١]

فالحجر إذن: هو الحائط الواقع شمال الكعبة المشرفة على شكل نصف دائرة، أو ما هو حواه الحائط المذكور، والأخير هو المراد عند إطلاقه.

وإنما سمي حجرا، لأن قريشا في بناءها تركت من أساس إبراهيم عليه السلام وحجرت على المواضع ليعلم أنه من الكعبة.[٢]

الحجر من البيت:

إن قريشا حينما بنت الكعبة استقصروا من بنيان الكعبة كما روت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن قومك استقصروا من بنيان البيت، ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهَلُمي ما تركوه فأراها قريبا من سبعة أذرع.[٣]

وفي رواية عنها: لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية أو قال: بكفر لأنفقت كنز الكعبة ولجعلت بابها بالأرض ولأدخلت فيها من الحجر.

ومن طريق آخر عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يقول: حدثتني خالتي يعني عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[١] لسان العرب ٤: ١٧٠، وانظر تهذيب الأسماء ١: ٥٨.
[٢] انظر معجم البلدان ٢: ٢٢١.
[٣] صحيح مسلم ٢: ٩٧١.

يا عائشة لولا أن قومك حديثوا عهد بشرك لهَدمت الكعبة، فألزقتها بالأرض وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحِجر، فإن قريشا اقتصرتها حين بنت الكعبة.[١]

وروى الحاكم عن ابن عباس قال: الحجر من البيت لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت من ورائه، قال الله تبارك وتعالى: (وليطّوفوا بالبيت العتيق)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.[٢]

ولما حفر عبد الله بن الزبير في الحجر أساسا للكعبة المشرفة وجد في الحجر أساس إبراهيم عليه السلام.

روى مسلم في حديث طويل..وقال ابن الزبير: إني سمعت عائشة تقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمس أذرع، ولجعلت لها بابا يدخل الناس وبابا يخرجون منه.

قال: فأنا اليوم أجد ما أنفق ولست أخاف الناس، قال: فزاد فيه خمس أذرع من الحجر حتى أبدى أساً نظر الناس إليه فبنى عليه البناء.[٣]

وعند الأزرقي... فلما هدم ابن الزبير الكعبة وسواها بالأرض كشف عن أساس إبراهيم فوجدوه داخلا في الحجر نحواً من ستة أذرع وشبر كأنها أعناق الإبل أخذ بعضها بعضا، كتشبيك الأصابع بعضها ببعض، يحرك الحجر من القواعد فتحرك الأركان كلها فدعا ابن الزبير خمسين رجلا من وجوه الناس وأشهدهم على ذلك الأساس.[٤]

فظهر أن الحجر جزء من البيت ويكون أجر الصلاة فيه كأجر من صلى داخل البيت، ومن أراد أن يصلي في الكعبة فليدخل الحجر ويصلي فيه.

---

[١] صحيح مسلم ٢: ٩٦٩ و ٩٧٢.

[٢] المستدرك ١: ٤٦٠.

[٣] صحيح مسلم ٢: ٩٧١، وأخبار مكة ١: ٢٠٧.

[٤] أخبار مكة للأزرقي ١: ٢٠٦- ٢٠٧

روى الأزرقي وعبد الرزاق بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أبالي صليت في الحجر أو في الكعبة.[١]

وبإسناد حسن عن عائشة أيضا أنها قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأدخلني الحجر، فقال لي: صلي في الحجر إذا أردت البيت، فإنما هو قطعة من البيت، ولكن قومك استقصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت.

وبإسناد صحيح عن ابن عباس قال: الحجر من البيت.

ولفظ عبد الرزاق في مصنفه: الحجر من البيت، قال: وليطوفوا بالبيت العتيق، قال: طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه.[٢]

وبإسناد صحيح هو وعبد الرزاق عن عبيد بن عمير أنه قال:

دخل بين عائشة وأخيها عبد الرحمن بن أبي بكر كلام، فحلف أن لا يكلمها فأرادته على أن يأتيها فأبى، فقيل لها: إن له ساعة من الليل يطوفها فرصدته بباب الحجر حتى إذا مر بها أخذت بثوبه فجذبته فأدخلته في الحجر، ثم قالت له: فلان عبدي حر، وفلان، والذي أنا في بيته، وجعلت تعتذر إليه وتحلف له.[٣]

وبإسناد صحيح هو وعبد الرزاق عن أم كلثوم ابنة أبي عوف أن عائشة سألت أن يفتح لها باب الكعبة ليلا فأبى عليها شيبة بن عثمان، فقالت لأختها أم كلثوم بنت أبي بكر: انطلقي بنا حتى ندخل الكعبة فدخلت الحجر.[٤]

وروى الأزرقي بإسناد فيه ضعف أن عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يفتح لها الباب ليلا فجاء عثمان بن طلحة بالمفتاح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنها لم تفتح بليل قط، قال: فلا تفتحها، ثم قال لعائشة:

---

[١] أخبار مكة للأزرقي ١: ٣١٢ ومصنف عبد الرزاق ٥: ١٣٠

[٢] أخبار مكة للأزرقي ١: ٣١٢ ومصنف عبد الرزاق ٥: ١٢٧

[٣] أخبار مكة للأزرقي ١: ٣١٣ ومصنف عبد الرزاق ٥: ١٢٩

[٤] أخبار مكة للأزرقي ١: ٣١٣ ومصنف عبد الرزاق ٥: ١٣٠

إن قومك لما بنوا البيت قصرت بهم النفقة فتركوا بعض البيت في الحجر فادخلي الحجر فصلي به.[١]

وروى الأزرقي أيضا عن مجاهد قال:

جاءت عائشة فدخلت البيت في ستارة ومعها نسوة فأغلقت الحجبة البيت دون النساء فجعلن ينادين يا أم المؤمنين، قال مجاهد: فسمعت عائشة تقول: عليكن بالحجر فإنه من البيت.[٢]

وعلم مما سبق أيضا أن الحجر ليس كله من البيت بل منه ما يساوي ستة أذرع وشبرا أو سبعة أذرع.

وقد اختلفت الروايات المتقدمة آنفا فبعضها دلت على كونه خمس أذرع وبعضها ست أذرع وشبراً وبعضها سبع أذرع وكلها صحيحة ثابتة. ولا تعارض بينهما فإن الأقل داخل في الأكثر.

قال ابن الصلاح: قد اضطربت فيه الروايات ففي رواية الصحيحين: الحجر من البيت، وروي ستة أذرع من الحجر من البيت، وروي ستة أذرع أو نحوها وروي خمسة أذرع، وروي قريبا من سبع، قال: وإذا اضطربت الروايات تعين الأخذ بأكثرها ليسقط بيقين.[٣]

وأما الموجود في عصرنا هذا، فهو أكثر من سبعة أذرع بكثير.

فقد ذرعه الشيخ حسين باسلامة رحمه الله بنفسه لمعرفة ذرعه بيقين، قال: فذهبت إلى الحجر في ليلة الثلاثاء الموافق ٢٥ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٢هـ بين المغرب والعشاء وذرعت القسم المستقيم من حجر إسماعيل المسامت لاستقامة جدار

---

[١] أخبار مكة للأزرقي ١: ٣١٥ ورجاله ثقات إلا أن فيه علة اختلاط عطاء بن السائب وروى عنه تلميذه خالد الطحان أبو الهيثم بعد اختلاطه، ينظر الكواكب النيرات ص٣٢٧، طبع مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

[٢] أخبار مكة للأزرقي ١: ٣١٥ وفي إسناده خصيف بن عبد الرحمن الجزري صدوق سيء الحفظ ولكن يستشهد به.

[٣] عن إيضاح النووي ٢٠٨.

الكعبة المعظمة من الحد المنحني منه إلى جدار الكعبة التي تلي الحجر، فكان طول ذلك تسعة أذرع بذراع اليد.[١]

وأما في أيامنا هذه بعد تعمير الحجر فذرعه بالمتر (٥ر٤٦ر٨) ثمانية أمتار وستة وأربعون ونصف سنتيمتراً كما سيأتي في ذرع الحجر.

بعض ما ورد من فضيلة الصلاة في الحجر:

روى الأزرقي بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: صلوا في مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار، قيل لابن عباس، ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب. قيل: وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.[٢]

وأما ما روي عن عطاء قال: من قام تحت مثعب[٣] الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه [٤] رواه الأزرقي من طريقين عن عطاء.

فهو ضعيف لا حجة فيه لأن في الإسناد الأول عثمان بن ساج وهو ضعيف، وفي الثاني علة تدليس ابن جريج، وقيل إن رواية ابن جريج عن عطاء سماع منه، ومع ذلك مثل هذا القول من الأمور الغيبية ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى أحد من الصحابة، فلا يحتج به.

وكذلك روى الفاكهي قال حدثنا أحمد بن صالح قال حدثني محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي هريرة: يا أبا هريرة إن على باب الحجر ملكاً يقول لمن دخل فصلى ركعتين: مغفوراً لك ما مضى فاستأنف العمل، وعلى باب الحجر الآخر ملك منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يرفع البيت يقول لمن صلى وخرج: مرحوماً لك إن كنت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تقيا: نقلا عن شفاءالغرام.[٥]

---

[١] تاريخ الكعبة ص ١٦٠.

[٢] أخبار مكة للأزرقي ١: ٣١٨.

[٣] المثعب: الميزاب.

[٤] أخبار مكة ١: ٣١٨.

[٥] شفاء الغرام: ١ / ٢١٧.

فهذا أيضا لأجل الانقطاع بين محمد بن علي بن الحسين وبين علي بن أبي طالب فإنه لم يدركه.

وأما عمارة الحجر وتجديد أرضه، فمعروف أنه كان مبنياً محوطاً في زمن الجاهلية وبقي كذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولما بنى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه الكعبة مشتملة على الحجر فلابد وأن يكون فرش أرضه مع جميع فرش الكعبة من داخلها ويبدو من الروايات أن فرشها كان بالحجارة، ثم لما نقض الحجاج الكعبة لردها على ما كانت قبل بناء ابن الزبير، فالظاهر أنه لم يعمل شيئاً غير تحويطه بجدار قصير. وأبقى الباقي على حاله.

ثم جدد فرشه أبو جعفر المنصور فقد ذكر الأزرقي أن أمير المؤمنين المنصور أبا جعفر حج وزياد بن عبيد الله الحارثي يومئذ أمير مكة، فطاف أبو جعفر ثم دعا زياداً فقال:

إني رأيت الحجر حجارته بادية فلا أصبحن حتى يستر جدار الحجر بالرخام فدعا زياد بالعمال فعملوه على السرج قبل أن يصبح، وكان قبل ذلك مبنياً بحجارة بادية ليس عليها رخام، ثم كان المهدي بعد قد جدد رخامه.[1]

وقال ابن فهد في إتحافه في حوادث سنة ١٤٠: وفيها رخم الحجر بأمر أبي جعفر المنصور وهو أول من رخمه.[2]

وقال الأزرقي بإسناده عن محمد بن يحيى عن أبيه قال: ثم رأيت جعفر بن سليمان بن علي وهو أمير مكة والمدينة في سنة إحدى وستين ومائة (١٦١) بلط بطن الحجر بالرخام بأمر المهدي، وذلك عام زاد المهدي في المسجد الحرام زيادته الأولى.

وقال أبو محمد الخزاعي: أنا أدركت هذا الرخام الذي عمله وكان رخاما أبيض وأخضر وأحمر وكان مزوي وشوابير صغارا ومداخلا بعضه في بعض أحسن من هذا العمل.

---

[1] أخبار مكة ١: ٣١٨.

[2] إتحاف الورى ٢: ١٧٧ ونقله عنه جميع المؤرخين، الفاسي في شفاء الغرام ١: ٢١٥، وابن ظهيرة في الجامع اللطيف ١٤، وباسلامة في تاريخ الكعبة ١٦٧.

ثم تكسر فجدده أبو العباس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى وهو أمير مكة في سنة إحدى وأربعين ومائتين ٢٤١ في خلافة المتوكل ثم جدد بعد ذلك في سنة ثلاث وثمانين ومائتين (٢٨٣) في خلافة المعتضد العباسي.[١]

ثم عمره الوزير جمال الدين المعروف بالجواد وذلك في عشر الخمسين وخمسمائة. وعمر أيضاً في خلافة الناصر العباسي في سنة ٥٧٥.

ثم في زمن المستنصر العباسي.

ثم في زمن الملك المظفر صاحب اليمن.

وكذلك في زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون.

قال الفاسي: وفي الرخامة التي فيها خبر عمارة الملك الناصر أن ذلك سنة عشرين وسبعمائة (٧٢٠).

ثم عمر أيضاً في دولة الملك المنصور علي بن الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة (٧٨١).

ثم عمر في سنة (٨٠١) في العمارة التي أمر بعملها الملك الظاهر برقوق، واسمه كان مكتوبا فيه بسبب ذلك.

ثم عمر في سنة ٨٢٢ في رجب وشعبان كثير من رخامه عمارة جيدة بالجبس لتداعي ذلك إلى السقوط، وكان غالب ذلك في جدر الحجر، بيد القائد علاء الدين. كما ذكره ابن فهد.

ثم عمر كثير من رخامه في جداره في ظاهره وباطنه وأعلاه وفي أرض الحجر، وذلك في المحرم من سنة ٨٢٦ عمارة حسنة بالجص.

ذكر ذلك كله الفاسي، وقال بعد ذكره:

وقد خفي علينا شيء كثير من خبر عمارة الحجر من دولة المعتضد العباسي إلى خلافة الناصر فإنه يبعد أن يخلو في هذا الزمن الطويل من عمارة.[٢]

وذكر ابن فهد في حوادث سنة ٨٣٨ أن سودون المحمدي جاءه من مصر ستون ذراعاً رخاماً لمرمرة الحجر فعمره، وعمره السلطان جقمق سنة ٨٤٣ وقايتباي سنة ٨٨٠.

---

[١] أخبار مكة للأزرقي ١: ٣١٧

[٢] انظر شفاء الغرام ١: ٢١٦

وقال علي بن عبد القادر الطبري (ت ١٠٧٠) في الأرج المسكي:

قد عمر حجر إسماعيل جماعة من ملوك الجراكسة منهم أبو النصر قانصوه الغوري في سنة ٩١٧ وكانت عمارته في هذه السنة مرتين.

وعمره من ملوك آل عثمان السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان. وعمره السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان.

وقال بعضهم أنه عمره السلطان سليمان سنة ٩٤٠.

وقال السنجاري: وممن جدد الحجر السلطان مراد خان وهو أول من جدده من آل عثمان وذلك لما بنى الشق الشامي من البيت وذلك في يوم السبت ١٠ رمضان سنة ١٠٤٠، وقال البعض أنه عمره السلطان محمد خان سنة ١٠٧٣.

وجاء في تحصيل المرام: وممن عمره السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٦٠.

ذكر ذلك كله العلامة حسين باسلامة.[١]

ذرع الحجر:

ذرعه إبراهيم رفعت باشا في عمارته الأخيرة فقال:

ارتفاعه ١,٣١ متراً، وعرض جداره من الأعلى ١,٥٢ متراً من أسفل ١,٤٤ متراً وسعة الفتحة التي بين طرفه الشرقي إلى آخر الشاذروان ٢,٣٠ متراً، وسعة الفتحة الأخرى التي بين طرفه الغربي ونهاية الشاذروان ٢,٣٣ متراً، والمسافة التي بين طرفي نصف الدائرة ثمانين متراً، ووراء الحطيم بمسافة ١٢ متراً المطاف، والمسافة من منتصف جدار الكعبة الشمالي ووسط تجويف الحطيم من الداخل ٨,٤٤ أمتار.[٢]

ثم عمرالحجر في سنة ١٣٩٧هـ تعميراً في غاية الجمال والإتقان وفرشت أرضه بالحجر البارد الذي جلب من يونان كما هو في أرض المطاف كله في التوسعة الأخيرة، وجعل على جداره ثلاثة فوانيس معدنية في غاية الجمال. تضاء بالكهرباء القوية.

ومساحته المربعة مع سمك الجدار ١٠٣م^{٢}، وأما ذرعه من وسط تجويفه مستقيما فثمانية أمتار وستة وأربعون ونصف سنتيمتراً.[٣]

◆◆◆

---

[١] انظر تاريخ الكعبة ١٧٠- ١٧٣

[٢] مرآة الحرمين ١: ٢٦٦

[٣] كما أفادني الأخ رياض، أحد المهندسين في اتحاد المهندسين الاستشاريين.

التراث العلمي

تعريف بكتاب
روضة المحبين ونزهة المشتاقين
لابن قيم الجوزية

الشيخ محمد عزير شمس

كتاب "روضة المحبين ونزهة المشتاقين" من أمتع مؤلفات ابن القيم، وأفضل ما كتب في الموضوع، وقد قام بتحقيقه وتخريجه فضيلة الشيخ محمد عزير شمس حفظه الله، وصدر الكتاب من دار عالم الفوائد، مكة المكرمة عام ١٤٣١هـ. والمقال الذي ننشره هنا جزء من مقدمة تحقيق الكتاب، يحتوي على معلومات مهمة عن الموضوع وعن الكتاب، جزى الله تعالى خيرا الأستاذ محمد عزير شمس على ما بذل من جهود مشكورة في إخراج هذا الكنز الثمين بتعليقاته القيمة وحواشيه المفيدة. (التحرير)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فهذا كتاب "روضة المحبين ونزهة المشتاقين" للإمام ابن قيم الجوزية، نقدّمه إلى القراء في طبعة جديدة بالاعتماد على أقدم نسخة خطية وصلت إلينا منه، وتصحيح كثير من الأخطاء الواردة في طبعاته المختلفة. وقد بذلنا جهدا كبيرا في مراجعة النصوص والأخبار والأشعار الواردة فيه، وتخريجها من المصادر التي نقل عنها المؤلف، وضبط الشعر وإصلاح الخلل الواقع فيه، وتقويم النص في ضوء ما توفر لدينا من المراجع.

وهذا الكتاب – كما سيأتي – أفضل الكتب التي ألفت في موضوع الحب، أورد فيه المؤلف من الفوائد العلمية والتنبيهات والنكت والمناقشات ما لا نجده في

كتاب آخر في هذا الباب، وانتقى فيه الأخبار والأشعار، ونزّهه عن الفحش والمجون وما يخل بالآداب الإسلامية، وإذا ورد شيء من ذلك فهو نادر.

وهذه فصول أقدمها بين يدي الكتاب ليكون القراء على دراية بالكتاب ومنهج مؤلفه، أتحدث فيها عما يخص الكتاب من نواح مختلفة.

عنوان الكتاب وتحقيق نسبته إلى المؤلف:

سمّى المؤلف هذا الكتاب في مقدمته باسم "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، وفي نسخة منه: "روضة المحبين ونزهة العاشقين" كما ذكر ذلك الأستاذ أحمد عبيد في تعليقه على طبعته من الكتاب (ص١٢)، وقال الشيخ بكر أبو زيد: لعله تصحيف[١].

وورد ذكره في مصارد ترجمة ابن القيم بعنوان "نزهة المشتاقين وروضة المحبين"[٢] بتقديم وتأخير بين فصلي العنوان. ولكن النسخ الخطية التي وصلتنا تحمل العنوان المعروف الذي سماه به المؤلف في مقدمة الكتاب، وهو الذي ذكره حاجي خليفة [٣]، ووصفه بقوله: "أولها: الحمد لله الذي جعل المحبة وسيلة إلى الظفر بالمحبوب .... الخ، وجعلها تسعة وعشرين بابا كلها في مباحث المحبة". وهذا يدل على أنه اطلع على نسخة منه. والوصف المذكور ينطبق على الكتاب الذي بين أيدينا، فيتأكد بذلك نسبته إلى ابن القيم، ونطمئن إلى أنه الكتاب الذي ذكره المترجمون له بتقديم وتأخير بين فصلي العنوان.

ووهم إسماعيل باشا البغدادي، فذكره مرة بعنوان "روضة المحبين ونزهة البساتين" [٤] ثم بعنوان "نزهة المشتاقين" [٥]، فظنهما كتابين، فأبعد النجعة. ولكثرة أوهامه وتصحيفاته لا يوثق بشيء مما ينفرد به عند العلماء والباحثين، فلا يلتفت إليه.

---

[١] انظر: "ابن قيم الجوزية: حياته، آثاره، موارده" (ص ٢٥٢).

[٢] كما في "ذيل طبقات الحنابلة" (٢ / ٢٥٠) و "طبقات المفسرين" للداودي (٢ / ٩٣) و "شذرات الذهب" (٦ / ١٧٠) و "التاج المكلل" (ص ٤١٧).

[٣] في "كشف الظنون" (١ / ٩٣٢).

[٤] هدية العارفين (٢ / ١٥٨).

[٥] المصدر نفسه (٢ / ١٥٩).

ومما يؤكد صحة نسبة الكتاب إلى ابن القيم أنه أورد فيه من نونيته المشهورة أبياتا كثيرة، كما ذكر نماذج أخرى من شعره، ونقل عن شيخه شيخ الإسلام فوائد وتحقيقات في مواضع من الكتاب. وهناك عبارات ونصوص في بعض الموضوعات مشتركة بين هذا الكتاب وكتب ابن القيم الأخرى، وخاصة كتاب "الداء والدواء" الذي يحتوي على كثير مما ذكره المؤلف في "روضة المحبين" في آفات النظر، وعقوبة اللواط، وفوائد غض البصر، ومراتب الحب، وأن كل حركة في العالم فأصلها المحبة، والكلام على العشق وما فيه من المفاسد، وأقسام العشاق، والكلام على حديث "من عشق فعفّ". (انظر: الداء والدواء ص ٣٤٨ – ٣٥٣، ٣٩٢ – ٤٠٥، ٤١٥ – ٤٢٢، ٤٢٦ – ٤٤٧، ٤٦٦ – ٤٧٦، ٤٨٢ وما بعدها، ٥٦٧ – ٥٦٨، ٥٦٨ – ٥٧٣) [تحقيق الدكتور محمد أجمل الإصلاحي].

وسيأتي ذكر من نقل عن الكتاب واقتبس منه في مبحث مستقل.

بقي أن أشير إلى أن للمؤلف كتابا آخر كبيرا في المحبة، ذكره في مواضع من كتبه، فيقول: "وقد ذكرنا هذه المسألة مستقصاة وتوابعها في كتابنا الكبير في المحبة" (مدارج السالكين ٢ / ٥٤ طبعة الفقي)، ويقول في موضع آخر: "وجميع طرق الأدلة تدل على إثبات محبة العبد لربه والرب لعبده، وقد ذكرنا لذلك قريبا من مئة طريق في كتابنا الكبير في المحبة، وذكرنا فيه فوائد المحبة، وما تثمر لصاحبها من الكمالات، وأسبابها وموجباتها، والرد على من أنكرها، وبيان فساد قوله، وأن المنكرين لذلك قد أنكروا خاصة الخلق والأمر، والغاية التي وجدوا لأجلها" (مدارج السالكين ٣ / ١٩).

ويذكر في "مفتاح السعادة" (١ / ٢١٦) أنه سيتبعه بعد الفراغ منه "كتابا في الكلام على المحبة وأقسامها وأحكامها ....". ويسميه "المورد الصافي والظل الضافي" (طريق الهجرتين ص ١٢٤) [تحقيق الإصلاحي]، و "قرة عيون المحبين وروضة قلوب العارفين" (مدارج السالكين ١ / ٩٢)، فهل هما كتابان أو كتاب واحد؟ الظاهر أنهما عنوانان لكتاب واحد، وعلى كل حال فالكتاب الكبير في المحبة غير "روضة

المحبين"، فإنه لم يفصل فيه مثل هذا التفصيل في موضوع محبة العبد للرب والرب للعبد. وظن بعضهم أن "روضة المحبين" هو الكتاب الكبير [1] وهو بعيد.

تاريخ تأليفه:

لم يذكر ابن القيم هذا الكتاب في مؤلفاته الأخرى، ولعله ألفه في أواخر حياته، وسيأتي بيان أن من بين المصادر التي اعتمد عليها المؤلف: "الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين" الذي ألفه الحافظ مغلطاي قبل سنة ٧٤٥ بقليل، واطلع عليه الحافظ صلاح الدين العلائي في هذه السنة وأنكر عليه بعض ما جاء فيه، ورفع أمره إلى الموفق الحنبلي، فاعتقله بعد أن عزّره، ومنع الكتبيين من بيع الكتاب، وبقي معتقلا حتى انتصر له جنكلي بن البابا وخلّصه [2]. ومغلطاي من المعاصرين لابن القيم ومن المحبين لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومحنته بسبب الكتاب كانت مشهورة، فلا عجب أن يطلع عليه ابن القيم، وينقل منه نصوصا كثيرة، إلا أنه لم يشر إلى الكتاب أو المؤلف. ومهما يكن من أمر فاعتماد ابن القيم على كتاب مغلطاي يدل على أن تأليف "روضة المحبين" كان بعد سنة ٧٤٥، وهذا ما نريد أن نتوصل إليه هنا.

موضوع الكتاب:

"روضة المحبين" من أحسن الكتب التي ألفت في موضوع الحب، وأكثرها فائدة، وأجمعها للأحاديث والآثار في هذا الباب، وأحسنها انتقاء لأخبار المحبين والعشاق، وقد جعله المؤلف في تسعة وعشرين بابا، وقدم لها بمقدمة جيدة ذكر فيها الغرض من تأليف الكتاب ومنهجه فيه، وسرد أبوابه، ووصفه بقوله: "هذا الكتاب يصلح لسائر طبقات الناس، فإنه يصلح عونا على الدين وعلى الدنيا، ومرقاة للذة العاجلة ولذة العقبى، وفيه من ذكر أقسام المحبة وأحكامها ومتعلقاتها، وصحيحها وفاسدها، وآفاتها وغوائلها، وأسبابها وموانعها، وما يناسب ذلك من نكت تفسيرية،

---

[1] انظر تعليق الشيخ محمد حامد الفقي على "مدارج السالكين" (٣ / ١٩)، ورد عليه الشيخ بكر أبو زيد في كتابه (ص ٣٠٦)، ولكنه في موضع آخر منه (ص ٢٥٣) يقول: "لعله هو الكتاب الكبير في المحبة ....".

[2] انظر "الدرر الكامنة" (٤ / ٣٥٢).

وأحاديث نبوية، ومسائل فقهية، وآثار سلفية، وشواهد شعرية، ووقائع كونية، ما يكون ممتعا لقارئه، مروحا للناظر فيه. فإن شاء أوسعه جدا وأعطاه ترغيبا وترهيبا، وإن شاء أخذ من هزله وملحه نصيبا، فتارة يضحكه وتارة يبكيه، وطورا يبعده من أسباب اللذة الفانية، وطورا يرغبه فيها ويدنيه. فإن شئت وجدته واعظا ناصحا، وإن شئت وجدته بنصيبك من اللذة والشهوة ووصل الحبيب مسامحا".

هذا وصف إجمالي لمحتويات الكتاب، وفيما يلي استعراض لأبوابه وموضوعاته.

خصّص المؤلف أبوابه الأولى (١ – ٥) لبيان أسماء المحبة واشتقاقها ومعانيها، ونسبة بعضها إلى بعض، وأن العالم العلوي والسفلي إنما وجد بالمحبة ولأجلها، كما تحدث عن دواعي المحبة ومتعلقها.

وفي الأبواب (٦ – ٩) تحدث عن أحكام النظر وغائلته وما يجني على صاحبه، وذكر مناظرة بين القلب والعين وحكم فيها الكبد، وذكر الشبه التي احتج بها من أباح النظر إلى الحرام وأباح عشقه، ثم الجواب عنها وبيان ما لهم وما عليهم في هذا الاحتجاج.

أما الأبواب (١٠ – ١٦) فهي لبيان حقيقة العشق وأوصافه وكلام الناس فيه، وهل هو اضطراري أو اختياري، واختلاف الناس في ذلك، وبيان سكرة العشاق وأن اللذة تابعة للمحبة في الكمال والنقصان، وذكر من مدح العشق وذمه، والقول الفصل في هذا الباب.

وتحدث في الأبواب (١٧ – ١٩) عن استحباب تخير الصور الجميلة للوصال الذي يحبه الله ورسوله، وأن دواء المحبين في كمال الوصال المباح، وميل النفوس إلى فضيلة الجمال.

وعقد الأبواب (٢٠ – ٢٨) لبيان علامات المحبة وشواهدها، واقتضاء المحبة إفراد الحبيب وعدم التشريك فيه، وذكر غيرة المحبين وعفافهم، وارتكاب سبل الحرام ومفاسده، ورحمة المحبين والشفاعة لهم، وترك أدنى المحبوبَين رغبة في أعلاهما.

وختم الكتاب بالباب (٢٩) في ذم الهوى وما في مخالفته من نيل المنى في الدنيا والآخرة.

ويظهر من قراءة الكتاب أن المؤلف اجتهد كثيرا في تهذيبه وترتيبه، واختيار النصوص والأخبار المناسبة لجميع الأبواب، ويهدف من ورائها إلى إمتاع القارئ بما

يقدمه من أخبار وأشعار وقصص وحكايات، مع تحذيره من مغبّة الوقوع في الحرام، ودعوته إلى تغليب العقل على الهوى، وعدم الجري وراء الشهوات، وإيثار الآخرة على الدنيا. وهذا الغرض الرئيسي واضح من جميع أبواب الكتاب، وخاصة الأبواب الأخيرة منه، والتي خصصها للدعوة إلى ترك الشهوات وبيان كيفية التخلص من الهوى المردي.

أهمية الكتاب:

سبق ابنَ القيم إلى التأليف في موضوع الحب عدد من العلماء، منهم من أفرده بالتأليف، ومنهم من جعله فصلا من كتابه، ومنهم من فرّق أخبار العشق والعشاق في أثناء مؤلفاته في موضوعات مختلفة، ولسنا هنا بصدر إحصاء هذه المؤلفات ودراستها، وبيان ما وصل إلينا منها مخطوطا ومطبوعا[1]. وإنمكا نكتفي بإلقاء نظرة سريعة على الكتب المشهورة في هذا الباب، لنعرف موقع "روضة المحبين" منها.

١- من أقدم ما وصل إلينا من هذه الكتب: كتاب "الزهرة" لمحمد بن داود الظاهري (ت ٢٩٦)، والقسم الأول منه خاص بالحب ومظاهره وآثاره وأحكامه وأحواله وتصاريفه، وقد قسمه المؤلف إلى خمسين بابا، وعنون كل باب بعنوان مسجوع، وأورد تحته مختارات من الأشعار والأخبار. وشهرة هذا الكتاب ترجع إلى أنه لفقيه ظاهري وإمام ابن إمام، يرسم للحب صورة وجدانية راقية، ويعتبر رائدا في هذا الميدان، وقصته في هذا الباب مشهورة.

٢- كتاب "الموشى" لأبي الطيب الوشاء (ت ٣٢٥) الذي يشكل الحب عنده أحد أركان الظرف، وللتعبير عن ذلك سلك المؤلف سبيل رواية القصص والمأثورات والآراء الشخصية المبنية على تجارب خاصة، حتى أصبحت المادة التي جمعها في هذا المجال تشكل القسم الهام من عمله، وكلها يدور حول الحب العفيف ونقض كل ما هو مخالف له.

---

[1] قام بدراسة بعض هذه الكتب محمد حسن عبد الله في كتابه "الحب في التراث العربي" (ط. الكويت ١٩٨٠م). وهناك دراستان لاثنين من المستشرقين يمكن الرجوع إليهما:

- Lois Anita Giffen, Theory of profane love among the Arabs, (London ١٩٧٢).
  Joseph Bell, The Hanbalite thinking on love theory in later Hanbalite Islam, (New York ١٩٧٩).

٣- أما كتاب "اعتلال القلوب" للخرائطي (ت ٣٢٧) فيعتبر من أمهات الكتب في هذا الموضوع، وتأليفه على طريقة المحدثين بذكر الأسانيد لجميع الأخبار. وقد أكد المؤلف على ضرورة التمسك بالعفاف، كما يدل على ذلك عناوين كثير من أبوابه، واختار من الآيات والأحاديث وسير الصحابة والتابعين وقصص المحبين وأشعارهم ما يرشد القراء إلى هذا الهدف، وفيه أخبار طريفة عن المحبين انتقاها مؤلفه بدقة.

٤- "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦)، درس المؤلف فيه الحب وتتبع أطواره، وبحث أدق قضاياه بوضوح وصراحة، وكان منهجه فيه الاستقراء والتتبع، والاعتماد على ما رأى وعاين، أو ما أخبر عنه وصدقه، كما ذكر ذلك في مقدمته، حيث قال: "التزمت في كتابي هذا الوقوف عند حد الاقتصار على ما رأيت، أو صح عندي بنقل الثقات. ودعني من أخبار الأعراب والمتقدمين، فسبيلهم غير سبيلنا، وقد كثرت الأخبار عنهم، وما مذهبي أن أنضي مطية سواي، ولا أتحلى بحلي مستعار" (ص ١٧ ط. دار المعارف).

٥- "مصارع العشاق" لجعفر السراج (ت ٥٠٠)، جمع فيه أخبار العشاق الذين صرعهم الحب منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، ومن سمات الكتاب أنه يطبع شخصياته دائما بطابع العفاف وخوف الله، ومن سماته أيضا أن المؤلف قدم لكل جزء من أجزائه الاثنين والعشرين بمقطوعة شعرية من نظمه. ومن عيوبه أنه يورد الأخبار والروايات دون ترتيب وتبويب[1]، وقد يكرّرها في عدة مواضع، وقد يذكر بعض القصص والأخبار التي لا يصدقها العقل.

---

[1] هذبه البقاعي (ت ٨٨٥) في "أسواق الأشواق من مصارع العشاق"، ورتبه وزاد فيه جميع كتاب الحافظ مغلطاي "الواضح المبين" وجميع حكايات "منازل الأحباب" للشهاب محمود، فجاء في مقدمة وعشرة أبواب. انظر بيان مخطوطاته في كتاب أخي الدكتور محمد أجمل الإصلاحي: "فهرست مصنفات البقاعي" (ص ١٥٤ – ١٥٥)، وقد بنى داود الأنطاكي (١٠٠٨) كتابه "تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق" على كتاب البقاعي، واختصره ورتبه على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة، وهو مطبوع معروف.

٦- "ذم الهوى" لابن الجوزي (ت ٥٩٧)، رتّبه المؤلف على خمسين بابا، وروى فيه الأخبار بالأسانيد، وهو كتاب يشتمل على ذم الهوى والتحذير من الوقوع في الخطأ والضلال، والحث على محاسبة النفس الأمارة بالسوء، والتحكم بالخواطر، والالتزام بالعفاف وخوف الله، وقد ألفه ابن الجوزي بعد ما طلب منه أحد من ابتلي بالهوى أن يصف له علاج هذا الداء العضال.

٧- "منازل الأحباب" للشهاب محمود (ت ٧٢٥)، جمع فيه أخبار العشاق وأشعارهم منذ العصر الجاهلي إلى عصره، ولم يشر إلى المصادر التي استقى منها مادة كتابه، وأضاف المؤلف إلى ما رواه عن غيره جملة من نظمه ونثره، إذ رآها تدخل في بابه ومعناه. وقد قسّم كتابه إلى ثلاثة عشر بابا، استغرق الباب الأخير منها الحيز الأكبر من الكتاب.

٨- "الواضح المبين" لمغلطاي (ت ٧٦٢)، اعتمد فيه المؤلف على كتب العشق التي سبقته، وبدأ كتابه بروايات متعددة لحديث: "من عشق فعف...."، ثم تحدث عن الحب وذكر تعريفات وأقوالا كثيرة، ثم رتب أسماء العشاق وأخبارهم على حروف المعجم، وحذف الأسانيد من الأخبار إلا فيما يتعلق بالحديث النبوي. وقد أورد فيه بعض الأخبار المنكرة التي امتُحن من أجلها واعتُقل.

هذه أشهر الكتب التي وصلت إلينا مما ألف في هذا الباب إلى عهد ابن القيم، وقد اعتمد على بعض منها، وانتقى الأخبار والأشعار الواردة فيها، ورتبها ترتيبا جديدا. ولم يقتصر على النقل والاقتباس من الكتب وإيراد الأخبار والأشعار فقط، بل علّق عليها بكلامه وشرحها، واستخرج الدروس والعبر منها، وأضاف إليها كثيرا من الفوائد والنكت والمسائل في الحديث والتفسير والفقه والسلوك وغيرها، وهذه ميزة انفرد بها كتاب "روضة المحبين" من بين الكتب المؤلفة في هذا الباب، وقد قمنا بفهرسة هذه الفوائد المنثورة في آخر الكتاب، فأغنانا عن ذكرها هنا.

(يتبع)

❖❖❖

من روائع الأوقاف

الخط الحديدي الحجازي

عيسى القدومي

حينما تقلب صفحات تاريخنا الإسلامي تجد نماذج رائعة من الأوقاف التي كان لها الدور الفاعل في التنمية والحضارة، والتي وفرت الحياة الكريمة لكل إنسان في المجتمع المسلم، وتخفيف معاناة أهل الحاجة والعوز، ليكونوا مشاركين لا ساخطين على مجتمعهم وأوطانهم، فعمل ابن آدم كله زائل إلا ما قدم العبد لآخرته، والأوقاف من أفضل الأعمال التي يستمر بها الأجر والمثوبة في الحياة وبعد الممات.

ويعد الخط الحديدي الحجازي وقفا إسلاميا، وهو من الإنجازات الرائعة والنادرة للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني من الناحية السياسية والدينية والحضارية، بل هو من أعظم الأوقاف المعاصرة، حيث قدم هذا المشروع خدمات جليلة ولاسيما لحجاج بيت الله الحرام، الذين تخلصوا من رحلة الشقاء الطويلة التي كانت تمتد لأكثر من شهر وسط المخاطر الكثيرة، إذ تقلصت بعد إنشاء الخط إلى خمسة أيام فقط بما في ذلك فترات الاستراحة.

فبعد أن رأى السلطان عبد الحميد ما يعانيه الحجاج من مشاق في طريقهم إلى مكة المكرمة، عزم على مد خط حديدي ليسير عليه عربات بخارية تحمل الحجاج والمتاع، وتقيهم من متاعب السفر لأشهر في صحراء مقفرة، وشمس حارقة، وحصى ملتهبة، وأهوال لا يقدر عليها إلا الرجال الصناديد، خصص لمده من خزانة دولته أقصى ما تستطيع، ومن ماله الخاص ما جادت به نفسه، ورغب المسلمين في المشاركة والتبرع لهذا المشروع الإستراتيجي.

ومثل هذا المشروع لا يكفيه ذلك، وأوقف له الأوقاف، وسخر الجيش العثماني للعمل في مده، ووصف الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله – في كتابه "ذكريات"،

العناء الذي أصاب الجيش ما أدى إلى "موت آلاف الجنود حتى قيل إن في كل مائة متر منه قبر شهيد".

شرع العمل في هذا المشروع العملاق سنة ١٩٠٠م وامتد العمل فيه ثماني سنوات متتالية، فأصبحت الرحلة بعد إنشاء هذا الخط الحديدي الذي بلغ طوله (١٣٢٠كم) تستغرق أياما معدودة ينعم فيها الركاب بالراحة والأمان.

وعاش المسلمون في البلدان كافة حلم إنشاء الخط الحجازي، وتخيل الكثيرون أن البعث والصحوة بين المسلمين اقترب زمانها، وتجلت هذه المشاعر الفياضة في حماسة العمل وسرعة إنجازه، وعندما وصل أول قطار إلى المدينة المنورة حاملا الحجاج انهمرت الدموع، وانهالت الدعوات للسلطان عبد الحميد.

وكان مما أوقف لذلك الخط الحديدي أراض في حيفا، وعكا والناصرة، واستثمار مياه وادي اليرموك، وأراض ومبان في دمشق وبيروت، ومنها كذلك استثمار الفوسفات في الأردن، وفي كل ذلك حجج وقفية ووثائق قضائية.

وبلغ إجمالي ما صرف على الخط الحديدي أربعة ملايين ونصف المليون من الليرات الذهبية العثمانية، وقد سجل الخط وقفا إسلاميا بعد أن لوحظت الأطماع الاستعمارية في ذلك المشروع الرائد وربط بوزارة الأوقاف العثمانية، وعينت له إدارة مستقلة، وصدر بذلك القانون رقم ٤٨٨ عن مجلس النواب العثماني.

واجهت المشروع صعوبات تمويلية، لضخامة تكلفته في ظل الأزمة المالية التي تواجهها الدولة العثمانية، وليضفي السلطان عبد الحميد على مشروعه الطابع الإسلامي وجه نداءً إلى العالم الإسلامي عبر سكرتيره "عزت باشا العابد" للتبرع للمشروع ولقي هذا النداء استجابة تلقائية من مسلمي العالم وانهالت التبرعات، وتألفت في سائر الأقطار الإسلامية لجان لجمع التبرعات.

واصدرت الدولة العثمانية طوابع لمصلحة المشروع، وأصدرت أوامر باستقطاع ١٠٪ من رواتب موظفي الدولة لصالح المشروع، وجمعت جلود الأضاحي وبيعت وحولت

أثمانها إلى ميزانية الخط، وبذلك انتقلت حماسة إنشاء الخط الحجازي إلى العالم الإسلامي، ومسلمو الهند كانوا من أكثر المسلمين حماسة له، وهو ما أثار غضب بريطانيا، فوضعت العراقيل أمام حملات جمع التبرعات حتى إنها رفضت أن يرتدي المسلمون الهنود الذين اكتتبوا في الخط الأوسمة والنياشين العثمانية.

ولم يكن العمل في مد الخط الحديدي سهلا، فقد عانى العاملون والمهندسون من نقص المياه، فحفروا الآبار وضخوا مياهها بطواحين الهواء والمضخات البخارية، ولم تكن كافية، فجلبوا المياه في صهاريج تسير على أجزاء الخط التي فرغ من مدها وما أن انتهوا من نقص المياه واجهتهم مشكلة جديدة في الشتاء وهي السيول الجارفة التي قد تدمر المشروع بأكمله، فأنشأوا المصارف على طول الخط، وإذا بمشكلة الرمال المتحركة في الصحراء القاحلة التي قد تغطي الخط وتقطع الحركة، فغطوا منطقة الرمال المتحركة بطبقة من الصلصال، وبُني سد حجري ضيق يمتد موازيا للخط الحجازي ليحول دون خطر تغطيته بالرمال المتحركة. أما مشكلة الوقود فتم حلها باستيراد الفحم من الخارج، وأقيمت مستودعات ضخمة لتخزينه.

وكانت بعض محطاته تحوي منشآت لتصليح العربات، وأنشيء معمل كبير في دمشق لصنع عربات كاملة، وكان في نهاية الخط في المدينة المنورة كذلك محطة كبيرة، وفي تبوك كذلك محطة لا تقل حجما عن محطتي دمشق والمدينة.

ووصل أول قطار إلى المدينة المنورة في (٢٢ رجب ١٣٢٦ هـ الموافق ٢٣ أغسطس ١٩٠٨م) وأقيم الاحتفال الرسمي لافتتاح الخط الحديدي، وقدم الخط الحجازي خدمات جليلة لحجاج بيت الله الحرام، حيث استطاع حجاج الشام والأناضول قطع المسافة من دمشق إلى المدينة المنورة في خمسة أيام فقط بدلا من أربعين يوما، مع العلم أن الوقت الذي كان يستغرقه القطار هو (٧٢) ساعة فقط، أما بقية الأيام الخمسة فكانت تضيع في وقوف القطار في المحطات وتغيير القاطرات [1].

---

[1] وممن عمل سائقا للقطار في تلك الفترة الحاج عيسى أحمد عبيد القدومي (١٨٥٦ – ١٩٦١م)، وهو من أجدادي وعمّر ١٠٥ سنوات، ونقل الكثير من ذكرياته عن ذلك الخط لوالدي حفظه الله.

وكانت القطارات البخارية تنطلق من محطة قطار "حيدر باشا" بإسطنبول إلى دمشق ومن دمشق إلى المدينة المنورة كان يمسى خط الحجاز، فتحقق الحلم الذي طالما انتظره المسلمون، وكان في خطة المشروع الحجازي أن يمتد بعد ذلك إلى مكة المكرمة ومن هناك إلى جدة، بيد أن أيا من ذلك لم يتحقق.

وساعد الخط الحجازي في نهضة تجارية واقتصادية لمدن الحجاز، وكافة المدن الواقعة على امتداد الخط، ومنها مدينة حيفا التي تحولت إلى ميناء ومدينة تجارية هامة، وكذلك المدينة المنورة. كذلك ظهرت مجتمعات عمرانية نتيجة استقرار بعض القبائل والتجمعات البدوية على جانبي الخط في بعض الجهات واشتغالهم بالزراعة.

يقول د. السيد محمد الدقن: "أما الحجاز فقد ازدهر بصفة عامة والمدينة المنورة بصفة خاصة، بسبب كثرة مجيء الزوار إليها نتيجة سهولة السفر على الخط الحجازي، الأمر الذي أنعش تجارتها صادرا ووارداً، فقد حظيت المدينة المنورة وهي المحطة النهائية للخط الحجازي بالنصيب الأكبر من التأثير الاقتصادي والعمراني والسكاني أكثر مما توافر لغيرها من المدن الواقعة على طول الخط، فعلى الرغم من قصر المدة التي استخدم فيها الخط، إلا أن هذه السنوات القليلة كانت كافية لترك بصمات واضحة في المجال الاقتصادي وغيره، فقد نشطت التجارة بين المدينة المنورة والشام ومصر، حيث كان تبادل الحاصلات الزراعية، فقد كانت خضر المدينة ترسل إلى الشام وفاكهة الشام وحاصلاته الزراعية ومنتجاته الصناعية تجيء إلى المدينة، فنمت الصلات التجارية نموا جلب من الرخاء ما لا يسهل اليوم تصوره، وكثر التعامل وارتفعت الأسعار حتى إن قطعة الأرض التي كانت تباع بثلاثة جنيهات قبل السكة الحديدية صارت تباع بعشرة جنيهات بعد تشغيلها، وبعد توقف الخط هبط الثمن إلى جهنيهين ولا تجد من يشتريها سنة ١٩٣١م" [1].

---

[1] سكة حديد الحجاز الحميدية، دراسة وثائقية، د. السيد محمد الدقن ص ٢٧٨، مطبعة الجبلاوي ط١ – ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

واستمرت سكة حديد الحجاز تعمل بين دمشق والمدينة المنورة ما يقرب من تسع سنوات (١٩٠٨ – ١٩١٨م) نقلت خلالها التجار والحجاج، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى ظهرت أهمية الخط وخطورته العسكرية على بريطانيا، فعندما تراجعت القوات العثمانية أمام الحملات البريطانية، كان الخط الحجازي عاملا هاما في ثبات العثمانيين في جنوبي فلسطين نحو عامين في وجه القوات البريطانية المتفوقة.

وعندما نشبت الثورة العربية واستولت على معظم مدن الحجاز، لم تستطع هذه القوات الثائرة السيطرة على المدينة المنورة بسبب اتصالها بخط السكة الحديدية ووصول الإمدادات إليها، واستطاعت حامية المدينة العثمانية أن تستمر في المقاومة بعد انتهاء الحرب العالمية بشهرين، لذلك لجأ قادة الثورة العربية تنفيذا لمشورة ضابط الاستخبارات البريطاني "لورانس" إلى تخريب الخط ونسف جسوره وانتزاع قضبانه في عدة أجزاء منه.

وهذا الوقف عطلته أيادي الاستعمار المعاصر، فكان لبريطانيا الدور الأكبر في تعطيله والدفع لتوقفه، وأضحى مأساة يشهد عليها التاريخ والواقع، وسكته الممدودة على الأرض كالجثة الهامدة، لا هو حي فيرجى ولا هو ميت فينسى، يذكرنا بحاله وحالنا، ولسان حاله يقول: هل من رجعة لربط العالم الإسلامي بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

يقول الشيخ علي الطنطاوي: "إن هذا الخط وقف إسلامي، وملك للمسلمين جميعا، لأنه أنشيء:

أولا: بأموالهم كلهم.

ثانيا: لأنه يربط المسلمين بقبلتهم، وبمدينة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: لأنه كان مستقلا مربوطا بوزارة الأوقاف العثمانية.

رابعا: لأن مؤتمر الصلح في لوزان أقر هذه الوقفية بعد دراسة قانونية عميقة.

خامسا: لأن الحكومات المتعاقبة في سوريا اعترفت كلها بهذه الوقفية.

سادسا: لأن المادة الأولى من اتفاقية ١٨ / ٤ / ١٩٤٧م بين المملكة العربية السعودية وسوريا والأردن قد نصت على أن هذا الخط وقف إسلامي، وتأكد ذلك في البروتوكولين وملاحقهما المتفق عليها في مؤتمر الرياض في أول سنة ١٩٥٤م". [1]

وقد كانت هناك محاولة في الستينات لإعادة فتح الخط الذي خربناه نحن العرب بأيدينا وأيدي لورانس وجماعته سنة ١٩١٨م، وحاليا يستخدم الخط الذي يربط بين دمشق وعمان بشكل غير منتظم، وأعيد تأهيل بعض القاطرات التاريخية، حيث تعمل حاليا تسع قاطرات في سوريا وسبع في الأردن، ولا تزال العديد من العربات القديمة تستخدم كذلك.

وتتكرر الآن الدعوات على مستوى قادة الدول لإعادة هذا الخط، وقد أعيدت أجزاء منه، وأبرمت عقود لتحديث الخط والعربات بين مدينتي الزرقاء وعمان في الأردن لنقل الركاب، وكذلك في سوريا، وبدء العمل على إعادة الخط في المدينة المنورة .. وتطرح الآن فكرة مد خط قطار بين دول الخليج العربي.

نسأل الله تعالى أن يعود هذا الوقف الإسلامي الثابت بصكوك شرعية وقضائية وقرارات دولية، لابد أن يعود كما كان وقفا للأمة يصل بين مدن بلاد الشام وأرض الحجاز، وأن تمتد خطوطه لتصل بين العالم العربي.

(مع الشكر لمجلة الفرقان الكويتية)

❖❖❖

[1] ذكريات علي الطنطاوي: ٧ / ٣١٥.

اللغة العربية

اللغة العربية وتحديات العصر الحاضر في ظل العولمة

كاشف جمال ضياء الحسن
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دهلي

اللغة العربية تحظى بمكانة مرموقة بين لغات العالم،باعتبارها اللغة الأم لما يربو على مائة وستين مليونا من المسلمين والعرب من جانب، ومن جانب آخر إنها اللغة المقدسة لما يربو على ألف مليون مسلم في جميع أنحاء العالم، فهي اللغة الأم لسكان العالم العربي، واللغة الثانية لسكان العالم الإسلامي، وثالث لغات العالم من حيث سعة انتشارها وسعة مناطقها، وإحدى اللغات الست التي تكتب بها وثائق الأمم المتحدة. إنها اللغة التي اختارها الله لينزل بها أفضل كتبه على أفضل رسله. وهي إحدى اللغات الحية والمتفاعلة مع باقي لغات الشعوب والأجناس والحضارات. أضف إلى ذلك أن "اليونسكو" قد اعتمدت يوم ١٨ ديسمبر من كل عام، يوما عالميا للغة العربية، وأقرت أن هذه اللغة يتحدث بها اثنان وعشرون عضوا من الدول الأعضاء في "اليونسكو" وهي لغة رسمية في المنظمة.

ومما لا شك فيه أن اللغة تؤدي دورا مهما في حياة الأمم وتاريخها بحيث هي ماضيها وحاضرها ومستقبلها وصورتها وفكرها وروحها ومصيرها. ولا وجود لأمة بغير وجود اللغة إذ يتم بها التواصل بين أبناء المجتمع، وعن طريقها يكتسب الناس خبراتهم ومهاراتهم، وتنمو معارفهم، ويرتبطون فيما بينهم، وبتراثهم وحضاراتهم، ويتواصلون مع ركب الحضارة والتطور.

اللغة وعاء الثقافة وأقدم تجليات الهوية، على اعتبار أن اللغة المشتركة هي التي تجعل من كل فئة من الناس "جماعة" واحدة، ذات هوية مستقلة، يزداد الاهتمام باللغة العربية والهوية معا، ويشيع الحديث عنهما، في المفاصل التاريخية في حياة الجماعات، وفي الغالب يتم الربط بينهما ويتماهيان إلى درجة أنهما يكادان يصبحان شيأ واحدا. وبأخذ الاعتبار لأهمية اللغة العربية قد أورد بعض العلماء الأجانب أقوالا عن أهمية اللغة

العربية ومكانتها في المجتمعات، حيث قال الفرنسي إرنست رينان: "اللغة العربية بدأت فجأة على غاية من الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس طفولة ولا شيخوخة"، أما الألماني فريتاغ فقال فيها: "اللغة العربية أغنى لغات العالم". أما الدكتور عبد المعطي الدالاتي فقد أورد أبياتا في اللغة العربية، حيث قال:

لغتي عليا اللغات قد سمت كالكوكب
جرسها بين اللغات كرنين الذهب
قد غدت أخت الخلود بالكلام الطيب

وقد شعر العلماء بأهمية اللغة العربية في كل عصر، وركزوا عنايتهم وجهودهم على صفاء هذه اللغة وإثرائها والحفاظ عليها من شوائب الدهر، ونفي الغش والزغل عن مفرداتها، حيث يقال لم تحظ أي لغة أخرى مثل ما حظيت به اللغة العربية من عناية وجهود جبارة في تلبية متطلبات العصر ومقتضياتها حتى أصبحت لغة علمية حية. وفي كلمة أبي العلاء المعري هي لآلئ لا ينبغي أن تختلط بالحصا والتراب حيث قال:

من الناس من لفظة لؤلؤ يبادره اللقط إذ يلفظ
وبعضهم قوله كالحصى يقال فيلغى ولا يحفظ [1]

ولكن في العصر الحاضر قد واجهت اللغة العربية تحديات ضخمة على مستويات عديدة في نظام العولمة باعتبارها وعاء للثقافة العربية وللحضارة الإسلامية. فالعولمة هي مصطلح أكثر انتشارا وصيتا في كل مجالات الحياة، نعم اللغة أيضا تأتي تحت دائرة التاثير لهذة الظاهرة،فكيف لا؟ حين يأتي خطرالعولمة من هيمنة النظام العالمي الذي يرفض صياغة العالم الجديد متعدد الأقطاب والمراكز والثقافات واللغات. والسؤال هنا، ما هي العولمة؟ وما هي أبعادها وتاثيرها على اللغة العربية؟

العولمة:

إن العولمة مصطلح مقاسي (Standard) يشمل كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وإن وجدناه ينسحب أساسا على مضمون اقتصادي، وهي تعني لغة: الكلية الجغرفية والبشرية ومقوماتها المادية والروحية، لتقابل في الألسن اللاتينية كلمة (Globalization).

---

[1] مختارات البارودي، ٧١/١.

ويرى محمود أمين العالم أن العولمة مفهوم مركب: سياسي اقتصادي ثقافي، يصبح معها الاستتباع كليا والسيطرة عامة: اقتصاديا وتكنولوجيا وعسكريا وإعلاميا وإيديولوجيا ولغويا وثقافيا وحضاريا.[١]

ولعل أحسن تعريف للعولمة ما يذكره عابد الجابري من أنها: "تعميم الشيء وتوسيع دائرته يشمل الكل، وجعله على مستوى التسخير العالمي، بحيث ينقل من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن المراقبة.[٢] ويذهب الكثير من الدارسين إلى أن العولمة تعني هيمنة دول المركز وسيطرتها – في ظل نظام عالمي – على بقية الدول الأخرى في جميع المجالات الحيوية كوحدة سيبيرنية موجهة.[٣]

ومن هذا المنظور، العولمة تعني سيطرة اللغة القوية على اللغات الأخرى الضعيفة وتهميشها في المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية، حيث تحل محلها اللغات الأقوى وبصورة خاصة اللغة الإنجليزية.

والعولمة هي سلاح ذو حدين، فإما أن تتيح فرصة نوعية لانفتاح الشعوب والثقافات على بعضها البعض لغاية التعريف بالتراث الحضاري والفكري واللغوي والروحي للشعوب، مما يؤدي إلى احترام الحق في الاختلاف والتنوع والاعتراف لكل ثقافة بإسهاماتها في الحضارة الإنسانية الواحدة، أو أنها تؤدي إلى تدمير الثقافات، إذا كانت غايتها إلغاء الآخر بفرض التجانس، مما يؤدي إلى تحويل النتاجات الثقافية إلى سلع تتحكم فيها قوانين السوق.

إن العولمة بمفهومها السلبي هذا إنما تؤدي إلى تطويق الإبداع الأدبي والفني لدى الشعوب ذات الهويات الثقافية المتميزة، كما تهمش الثقافة الوطنية واللغة القومية من خلال فرض لغة وثقافة القطب الاقتصادي الذي ينتج وحده ويفرض لغته وثقافته عبر وسائل الاتصال التي يملكها، وأخيرا فإنها تؤدي إلى تقليص العلاقة بين المثقف والخبرة المباشرة بعمله وبالحياة من حوله، من خلال تقديم كل ما كان يختبره العالم

---

[١] الثقافة والعولمة، محمود أمين العالم، ص: ١٨.

[٢] العولمة في الساحة الفكرية الراهنة، محمد عابد الجابري، جريدالرأي عدد ٢١ مارس ١٩٩٩.

[٣] ثقافة العولمة/ عقله فرسان، الأسبوع الأدبي، سوريا عدد ١٩٩٨/٥/٥.

والمثقف بنفسه، جاهزا موثقا فتغنيه عن الانتقال والبحث فيصبح إنسان المستقبل نسخا متطابقة.[١]

مظاهر عولمة اللغات

لقد ظهرت جذور عولمة اللغات مع موجات الاستعمار الاستيطاني في العالم الثالث عامة، وفي العالم العربي خاصة. وقد برزت تلك الهجمات في المظاهر التالية:

- محاولة إلغاء اللسان العربي واستبداله باللسان الإنجليزي، في المشرق العربي، وباللسان الفرنسي في المغرب العربي. ومن أمثلة ذلك القرار الفرنسي لسنة ١٩٤٩ ونص ترجمته "لا ننسى أن لغتنا الفرنسية هي اللغة الحاكمة، فإن قضاءنا المدني والجزائي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تصدر بأعظم ما يمكن عن السرعة جميع البلاغات الرسمية، وبها يجب أن تكتب جميع القيود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا.
- محاولة استبدال اللغة العربية الفصحى باللهجات المحلية، أو كتابتها بالحروف اللاتينية، كماحدث في تركيا والفلبين مع تشجيع أكثر من لهجة في القطر الواحد.
- السعي إلى التقليل من أهمية اللسان العربي باعتباره لغة ثانية في الأقطار المستعمرة آنذاك كما حدث في مصر على لسان المستشرق (وليم ولكوكس) الذي ذهب إلى القول بأن المصري يقرأ بالعربية ثم يترجم ما قرأه إلى العامية، وأن عليه في هذه الحالة أن يرسم العامية بالحروف اللاتينية أو يتبنى اللسان الانجليزي. وكان الهدف من وراء ذلك هو محاولة تشتيت اللسان العربي بين اللهجات الجهوية.[٢]

تحديات العصر الحاضر للغة العربية

البحث في تحديات العصر الحاضر للغة العربية له أهمية قصوى،وذلك لأسباب تالية:

---

[١] العولمة والخطر على الهوية والكيان، د نجيب غزاوي، مجلة المعرفة العدد رقم ٤٣٣، أكتوبر ١٩٩٩ ص: ٤١.

[٢] اللسان العربي وتحديات العولمة، د. حلام الجليلاني، مجلة المعرفة، العدد رقم ٤٥١، أبريل ٢٠١١، ص: ٤٦- ٧٤.

- السبب الأول يعود إلى الدين الحنيف، فهذه اللغة وعاء للفكر الإسلامي منذ خمسة عشر قرنا من الزمان، وهي الوسيلة لأداء العبادات وبخاصة الصلوات الخمس وتلاوة القرآن الكريم.
- والسبب الثاني يعود الى أن اللغة العربية لها وظيفة اجتماعية، فهي التي نتواصل بواسطتها من المحيط إلى الخليج، والحفاظ عليها هو السبيل لبقاء التلاحم القومي بين الناطقين بها.
- والسبب الثالث يرجع إلى تراثنا الأدبي المتنوع الذي هو مفخرة لنا، ولا نستطيع التواصل معه إلا من خلال اللغة العربية.
- والسبب الرابع هو سبب إنساني، فاللغة العربية ثروة ثقافية للإنسانية قاطبة،وقد استفادت منها اللغات الأخرى كالعبرية والفرنسية والإنجليزية، واندثار هذه اللغة أو اضمحلالها معناه ذهاب أحد أهم الموارد المغذية للغات الإنسانية.[1]

واللغة العربية دائما واجهت من التحديات والصراعات إما من العوامل الخارجية أو من الداخلية، ولكن أحيانا طبيعة المواجهة تكون شديدة وأخرى تلين. وبناء على ذلك فإن اللغة العربية واجهت في تاريخها أربع محاولات قاتلة، ولكنها خرجت منها أشد شكيمة وأقوى عزيمة، وهذه المواجهات التاريخية هي:

١ – **المواجهة الأولى**: ظلت اللغة العربية في تصاعد وتفتح مستمرين إلى نهايات العصر العباسي الأول، إذ بدأ الانحلال العام وغياب السلطة العربية فعليا لا اسميا، فلما غابت السلطة بعد ذلك اسميا وفعليا وتحولت بعد غزو المغول والتتر إلى غير العرب أصاب اللغة ما أصاب الإنسان العربي من ذل وهوان، ودخلت اللغة في نفق مظلم لا يؤدي إلا إلى الموت. وبرزت الموضوعات الهزيلة، كالبرذونيات مثلا، وصار الشكل جسدا بلا روح وحياة،وانتشرت العامية العربية وسواها في بنية اللغة.

٢ – **المواجهة الثانية** (التتريك): كانت الخلافة العثمانية تعتبر استمرارا للخلافة العربية الإسلامية، فحكمت البلاد والعباد في بدء الخلافة على أنهم أصحاب الرسالة السماوية الإسلامية، ولكن بعض الأتراك كانوا يخفون أحقادهم على هذه اللغة، وخاصة في عصر الطورانيين الجدد أصحاب جمعية (الاتحاد والترقي).

---

[1] التحديات التي تواجه اللغة العربية في العصر الحديث، د. محمد رفعت زنجير، ص:٤- ٣.

٣ – المواجهة الثالثة (المستعمر الغربي واللغة العربية): لم تكن حال اللغة العربية مع المستعمر الجديد (بريطانيا، فرنسا، إيطاليا) بأفضل مما كانت عليه، وإنما كان هذا المستعمر أبعد صبرا وأكثر حنكة وعلما ومعرفة، فسعى إلى هدم اللغة العربية للقضاء على القومية بوساطة اتجاهين: الأول اتجاه المستشرقين المسخرين لهذه الغاية وقد قاموا بدراسة اللهجات وبث السموم والتفرقة بين أبناء الوطن الواحد،وشجعوا بعض الأقليات بالبحث عن لغات بديلة.

والثاني أن المستعمرين وجدوا من يتعاون معهم من النخبة لهذه الغاية، فقربوهم وأغروهم بالمناصب والمال.

وتعد قصيدة حافظ إبراهيم صورة صادقة عن حالة اللغة العربية في هذا العصر، ومنها قوله:

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة وكم عز أقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا فيا ليتكم تأتون بالكلمات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادي بوادي في ربيع حياتي؟

٤ – المواجهة الرابعة (العربية في عصر العولمة): تواجه العربية حالا فريدة، وهي معرضة لهجوم عاصف ومواجهة لم تشهد مثيلا لها من قبل، فإما الصمود وإما السقوط، ونحن في حال لا نحسد عليها، ومن صورها الانقسام والتناحر وإقامة الدولة القطرية بديلا من الدولة القومية ذات اللسان العربي. ومما يعزز ذلك كله أن الإحساس القومي بدأ بالتراجع السريع بدلا من التضامن والتعاون للوقوف إزاء الهجمة الضارية التي نتعرض لها من الاستعمارالجديد المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية التي جعل الشرق الأوسط مسرحا لعملياتها، وعسكرت علماءها لضرب الاقتصاد العربي بحجة العولمة. أما اللغة العربية فكان لها النصيب الأكبر من توجيه السهام للقضاء عليها اجتماعيا وبنية، فعلى الصعيد الاجتماعي تراجع اهتمام المجتع والأهل باللغة العربية لمصلحة اللغة الإنكليزية على أساس أنها الضامن الوحيد لمستقبل أفضل لأولادهم.[1]

(يتبع)

❖❖❖

[1] اللغة العربية: مواجهات وحلول، د. خليل الموسى، مجلة المعرفة العدد رقم ٥٧٩، ١ ديسمبر٢٠١١، ص: ١٩٨- ٢٠١.

من أخبار الجامعة

حفل افتتاح ندوة طلبة الجامعة السلفية بنارس

عقدت ندوة طلبة الجامعة السلفية حفل افتتاحها للعام الدراسي الجديد في الساعة التاسعة والنصف صباحا من يوم الخميس: ١ / ١١ / ١٤٣٧ هـ = ٥ / ٨ / ٢٠١٦م في قاعة المحاضرات بالجامعة. وذلك برئاسة فضيلة الشيخ محمد يونس المدني، شيخ الجامعة، وبحضور فضيلة الشيخ عبد الله سعود السلفي، الأمين العام للجامعة كضيف شرف. وهذه هي فقرات الحفل:

تلاوة القرآن الكريم	الطالب ضياء الرحمن بن مطيع الرحمن	السنة الثانية للفضيلة
قصيدة في الثناء على الله	الطالب عبد العزيز بن كفايت الله	السنة الأولى من كلية الشريعة
قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم	الطالب نعيم أختر بن علي حسين	السنة الثانية للعالمية
أنشودة الجامعة	الطالب دانش جمال بن اشتياق أحمد وزملاؤه	من مختلف المراحل الدراسية
التعريف بندوة الطلبة	الطالب محمد عارف بن قسيم الدين	السنة الثانية للفضيلة
كلمة حول موضوع: أهمية العلم في الإسلام (باللغة العربية)	الطالب عبد الإله بن محمد رضوان	السنة الثالثة للفضيلة
كلمة حول موضوع: دور الأئمة والخطباء في إصلاح المجتمع (باللغة الأردية)	الطالب عبد الغفار بن عبد القدير	السنة الثانية للعالمية
كلمة حول موضوع: ضرورة الدعوة إلى الله في الوقت الراهن (باللغة الهندية)	الطالب ميزان الرحمن بن محمد سليمان	السنة الأولى من كلية الحديث
كلمة حول موضوع: مشكلة اللاجئين وحلها من منظو إسلامي (باللغة الانجليزية)	علاء الدين بن مقبول عالم	السنة الثالثة للفضيلة

وعقب كلمات الطلاب تحدث كل من فضيلة الشيخ محمد يونس المدني شيخ الجامعة وفضيلة الشيخ عبد الله سعود السلفي أمين عام الجامعة في الحفل، وقدما نصائح قيمة وتوجيهات نافعة للطلاب، مع حثهم على اغتنام الفرص والأوقات للتحصيل العلمي وتقوية الملكة في العلوم الشرعية والأدبية. قام بإدارة الحفل الطالب فيضان أحمد شاهنواز أحمد كيفي من السنة الثانية للفضيلة. وانتهى الحفل في تمام الثانية عشرة ظهرا.❖